الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية
وزارة التعليم العالي و البحث العلمي
جامعة جيلالي بونعامة – خميس مليانة –
كلية الآداب و اللغات
قسم اللغة و أدب عربي

الموروث الشعبي و متعة الأسطورة في رواية نجمة

مذكرة تخرج لنيل شهادة الماستر
تخصص أدب جزائري

إعداد الطالبات:
- قصيري نوال
- سعيداني شيماء

إشراف الأستاذة :
- بلحوالة سهيلة

السنة الجامعة : 2022/2021

شكر و عرفان

نشكر الله و نحمده سبحانه حمدا يليق حمدا يليق بجلاله و عظيم سلطانه على هذه النعمة الطيبة النافعة نعمة العلم و على توفيقه و امتنانه .

لذا يشرفنا باعتزاز بالغ أن نتقدم بشكرنا الأستاذة الفاضلة بلحوالة سهيلة لما بذلته من جهد مخلص و مثابرة ، و التي تفضلت بالإشراف على مذكرة الماستر ، فلولا توجيهاتها السديدة ، ونصائحها العلمية ، و صبرها ، وما أعطتنا إياد من وقتها الثمين بعد الله عزوجل ، لما اكتمل بنيان هذا العمل ، وظهر في صورته الحالية ، فجزاها الله عنا و عن طالب العلم خبر جزاء في الدنيا و الآخرة .

كما نتقدم بالشكر و التقدير لكل من مدّ يد العون و المساعدة لنا من أساتذة آخرين ، و كذلك الزميلات و أسرنا الكرام ، و كل من شاركنا هم البحث و منابعه بالجهد و الدعاء .

إهداء

بسم الله الرحمان الرحيم

بسم الله الرحمن الرحيم وصلى الله على صاحب الشفاعة سيدنا محمد النبي الكريم، وعلى آله وصحبه الميامين ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين أما بعد :

الحمد لله الذي وفقنا لتثمين هذه الخطوة في مسيرتنا الدراسية بمذكرتنا ثمرة الجهد والنجاح بفضله تعالى إلى اللواتي لم يدخرن نفسا في تربيتنا أمهاتنا الغاليات الأحياء منهم والأموات.

إلى من تشققت أيديهم في سبيل رعايتنا – أبي الكريم أدامه الله و حفظه لي

- إلى من لم ينس تذكيرنا بطلب العلم قائله:" اقرؤوا...اقرؤوا... اقرؤوا."
- الأستاذة بلحوالة سهيلة حفظها الله وألبسها ثوب الصحة والعافية.
- إلى إخوتي و كل عائلة قصيري، من كبيرهم إلى صغيرهم.
- إلى زوجي العزيز حفظه الله و رعاه .
- إلى رفيقات المشوار نسيمة، شيماء ، حنان، دنيا، وسام ، خولة ، إيمان
- إلى كل من كان لهم أثر على حياتنا، وإلى من أحبتهم قلوبنا ونسيتهم أقلامنا.

نوال

إهداء

الحمد لله المستعان والصلاة و السلام على خير الأنام

قال تعالى : " وقضى ربك ألا تعبد إلا إياه و بالوالدين إحسانا "

إلى أغلى ما أملك في هذه الدنيا :

ـ إلى الذي غمرني بحبه وحنانه إلى الذي كانت بدايته خطواتي على يده ، إلى الذي لازمني منذ طفولتي حتى اليوم ، إليك أبي جميل عرفاني لفضلك الكبير ، جزيل كل شعره لاح شيبها لأجلنا .

ـ إلى التي اتسع قلبها يوم ضاقت القلوب ، ورافقت دربي في محنتي ، فرحي، بكائي ، فشلي ونجاحي ، في عتمتي و نوري ، إلى التي رسمت بنور عينيها شروق شمسي وعبدت بدعواتها طريقي ، إليك أمي قرة عيني.

ـ إلى سندي وأعز ما لدي إخوتي : عبد النور ، أية ، بلال و زوجته نادية .

ـ إلى نصفي الثاني ، و توأم روحي ، إلى من سيشاركني حياتي وكل تفاصيلي ، إليك عيد الحق جميل الشكر و العرفان .

ـ إلأى كل من عائلة سعيداني ، مكسي ، بولبة من كبيرهم حتى صغيرهم .

ـ إلى رفيقات المشوار : نوال ، نسيمة ، وسام ، إيمان خولة فايزة ، حنان و دنيا .

ـ إلى كل من كان لهم أثر إيجابي على حياتنا ، و إلى كل من أحبتهم قلوبنا و نسيتهم أقلامنا .

أهدي ثمرة جهدي

شيماء

بسم الله
الرحمن
الرحيم

" وفق كل ذي علم عليم "

الآية 76 من سورة يوسف

مقدمة

إن العودة إلى الموروث الشعبي هي السمة البارزة التي ميزت الأعمال الروائية الفنية ، إذ يعتبر من مكونات ذاكرة الشعوب و مرآة عاكسة لثقافتهم سواء كانت متقدمة أم متخلفة ، فالموروث جزء أساسي لا يتجزأ من كيان الأمة ومقوم هام من مقومات الشخصية بل هورمز أصالة لها و عنوان لسيادتها ، إلا أن توظيفه في الواقع الثقافي أصبح نادرا و تراجع بعض الشيء لذا يجب استعادته و العمل به في الروايات العربية و الجزائرية إذ أن له أهمية كبيرة يجب توارثه جيل عن جيل .

و عندما نتحدث عن الموروث الشعبي يسوقنا القول أيضا إلى الأسطورة إذ أنها شكل من أشكاله التي حصص الباحثون لها حيزا لبأس به لدراستنا و اتخذوا في ذلك اتجاهات و طرقا متعددة ، إذ تعتبر الأساطير قديما و حتى حديثا مصدرا خصبا من مصادر دراسة الشعوب و المجتمعات و تحليل رؤيتها للكون ، للمجتمع و الإنسان ، حيث ولى ذلك العهد الذي كانوا ينظرون فيه إليها على أنها أوهام و أساطير .

و كنتيجة لاقتراب الأسطورة بالموروث الشعبي ، اشغل بعض الأدباء و الروائيون العرب و الجزائريون خاصة أمثال عبد الملك مرتاض ، واسيني الأعرج ، الطاهر وطار ، وكاتب ياسين ، هذه المساحة و سارعوا إلى توظيفها في أعمالهم الشعرية و الروائية .

من هذا المنطلق وقع اختياري على رواية نجمة للكاتب والروائي كاتب ياسين كمتن للبحث لكونها تعد من أبرز الروايات الجزائرية التي وظفت الأسطورة .

ومن الأسباب التي دفعتني للاختيار هذا الموضوع ، الميل إلى دراسة أعمال الروائي الجزائري كاتب ياسين ، ياسين ، ليس فقط لأنه جزائري ، بل لأنه ترك لنا إرثا أدبيا متميزا ، وكذا دراسة منا للرواية الجزائرية بوصف فنيا يعني بمعالجة مشاكل الوطن و المجتمع ، كما تسعى لإيجاد الحلول من خلالها ، و رغبة منا في الكشف عن بعض أسرار الأسطورة التي ضحت تمثل هاجسا لكل طالب علم أو باحث .

و الهدف الأساسي من هذه الدراسة هو التعرف على خبايا الموروث الشعبي بصفته عامة و أبرز الأهداف المرتسمة من وراء توظيف الأسطورة في الرواية بصفة خاصة .

و من بين أهم التساؤلات التي طرحها بحثي مايلي :

- ماهو الموروث الشعبي ؟ و كيف كانت نشأته ؟
- ماهي أشكاله و أنواعه ؟
- ماهي أهم الأساطير التي تم توظيفها في رواية نجمة ؟
- ما الهدف من توظيف كاتب ياسين الأسطورة في الرواية ؟

ـ ما القضية التي عالجها بتوظيفه الأسطورة ؟

وللإجابة عن هذه التساؤلات تم تقسيم الدراسة إلى مقدمة و فصلين وخاتمة وثبت بقائمة المصادر و المراجع المتعددة في الدراسة ثم فهرس المحتويات وكان ذلك على النحو التالي :

ـ الفصل الأول : عنوانه الموروث الشعبي و الأسطورة في الرواية الجزائرية ، و قد تناولنا فيه المفهوم و النشأة ، و كذا أشكال الموروث الشعبي و التي تتمثل في المثل ، الحكاية ، الأغنية الشعبية ، و الأسطورة كذلك من مفهوم ونشأة و أنواع ، و كذلك تحديد العلاقة التي جمعت الأسطورة في رواية نجمة و الذي تناولنا فيه ملخص الرواية .

ـ الفصل الثاني : و عنوانه صورة الأسطورة في رواية نجمة والذي تناولنا فيه ملخص الرواية ، و الأحداث و الشخصيات و الأمكنة في الرواية ، و تجليات الأسطورة في الرواية .

ـ خاتمة : تضم أهم النتائج التي توصلنا إليها و قد البحث بقائمة المصادر و المراجع ، ثم فهرس المحتويات ، و كذا الملحق الذي تطرقنا فيه إلى السيرة الذاتية للروائي كاتب ياسين .

و قد اعتمدنا على مصادر و مراجع مختلفة من أهمها و التي لها الفضل الكبير في انجاز بحثنا و التي كنا نستضيء بها و نذكر على الخصوص :

لسان العرب لابن منظور

المنجد في اللغة و الإعلام لويس معلوف

الرواية و التراث السردي لسعيد يقطين

التراث و الحداثة لعابد الجابري

أشكال التعبير في الأدب الشعبي لنبيلة إبراهيم

و لأن موضوعي هو الموروث الشعبي ومتعة الأسطورة في رواية نجمة لكاتب ياسين ، اتبعنا المنهج التاريخي لكشف العناصر التاريخية الشعبية ، والمنهج الاجتماعي لتحديد علاقتها بالجماعة ، و المنهج الفني لتناول انعكاسات العناصر الشعبية في شكل رواية و مضمونها .

الفصل الأول

الموروث الشعبي الأسطوري في الرواية الجزائرية

المبحث الأول: مفهوم الموروث الشعبي وأشكاله

أولا: المفهوم والنشأة

ثانيا: أشكال الموروث الشعبي

المبحث الثاني: الأسطورة وأنواعها.

أولا: تعريفها ونشأتها

ثانيا: أنواع الأسطورة

ثالثا: الأسطورة والرواية

مفهوم الموروث الشعبي وأشكاله

أولا: المفهوم والنشأة

01. الموروث لغة:

جاء تاريخ العروس:" أرث أصلة من الميراث، قبلت الواو ألفا مكسورة الكسرة الواو، وجاء في لسان العرب:ط ورثت فلانا مالا أرثهُ ووِرثًا إذا مات مورثك، فصار ميراثه لك[1]، ويقول المعجم الوسيط في (ورث)أيضا:" (ورث) فلانا المال ومنه وعنه (يرثُه) ورثا وإرثا ورثه،،و وارثة: صار إليه ماله بعد موته، ويقال ورث المجد وغيرهُ، وورث أباه ماله ومجدهُ، فهو وارث (ج) ورثةٌ و وراثٌ.[2]

مصطلح الموروث من الملفوظ تراث (héritage) وأصله من الفعل ورثَ إرثاً ميراثًا،أي انتقل إلى شخص ما كان لشخص من قبل فصار ميراثًا لشخص آخر.

وقد جاء في القرآن الكريم:" و وَرِثَ سليمانُ داوودًا "سورة النمل آية 16، كلمة موروث اسم مفعول ونفي في اللغة الذي ترك الميراث، والمال الموروث وهي مأخوذة من الأل لمادة ورث[3].

يقول أورثَهُ وتوارثوه كابرا عن كابر، وقال الأعرابي:" الوِرْثُ والإرْثُ و والوارثْ والإرث والتراثُ واحد، وقال ابن سبده: و الورثُ والترَاثُ والميراثُ، وما وُرِثَ وقيل: الوَرَّثُ والميرَاثُ في المال والإرثِ في الحسب[4].

يتبين من المعنى المعجمي أن دلالة" ورث" هي دلالة مادية تفيد انتقال المال، أو ما هو مادي، من المتوفي لأقاربه المستحقين الإرث ممن هم على قيد الحياة، ودلالة معنوية تفيد الصفات، الذكر الاعتقاد وما شابه ذلك، وقد وردت في كثير من الشعر العربي، وفي غير آية من القرآن الكريم كقول الله تعالى على لسان سيدنا زكريا عليه السلام، " فهب لي من لدنك وليا، يرثني ويرثُ من آل يعقوب النبوة" سورة مريم الآية[5]، حيث رجح أغلب المفسرين أن الوراثة هنا معنوية، يرِثُ من أبيه العلم ومن آل يعقوب النبوة"[6].

---

[1] ابن منظور، جمال الدين محمد بن مكرم، لسان العرب،دار المكتبة العلمية، بيروت، ط1، 2003، مادة ورثَ

[2] مصطفى إبراهيم وآخرون، المعجم الوسيط، مجمع اللغة العربية، ج1، المكتبة الإسلامية للطباعة والنشر والتوزيع، القاهرة، ص 1024.

[3] لويس معلوف، المنجد في اللغة والإعلام، بيروت، دار المشرق، 1997، ط 35، مادة ورث

[4] ابن منظور، لسان العرب،دط، وت، مج 7، مادة ورث

[5] القرآن الكريم، سورة مريم، الآية 06.

[6] ابن الجوزي، زاد المسير في عالم التفسير، 91- 172.

وعلى هذا فإن دلالة " ورث" تشمل المادي والمعنوي، وكل ما تركه السلف من تركات مادية وغير مادية، هو موروث باق غير الأجيال المتعاقبة، وجزء لا ينفصل عن الواقع الحياة المعاصرة.

ثانيا ـ الموروث اصطلاحا:

إن موروثنا هو كل ما هو حاضر فينا من الماضي سواء انتمينا إلى هذا الماضي أو اطلعنا عليه من قريب أو بعيد إنه الحامل للفكر والسلوك والآثار المادية مما قد يشمل قوميا[1] يحضر في الإنسان من ماضيه أو تراث إنساني يحضر في الإنسان من ماضي غيره، إن الموروث ما اتصل فيه الماضي بالحاضر والمستقبل أيضا:" فليس التراث هو ما ينتمي إلى الماضي البعيد وحسب بل هو أيضا ما ينتمي إلى الماضي القريب، والماضي القريب متصل بالحاضر، والحاضر مجاله ضيف فهو نقطة اتصال الماضي بالمستقبل... فما فينا أو مضامين حاضرنا،من جهة اتصاله بالماضي، فهو تراث أيضا"[2].

يعتبر الموروث ذا صلة بالإنسان العربي فهو مجموع الإنتاج الذي خلقه العرب وغيرهم من الأجناس التي في نطاق الحضارة العربية الإسلامية باللغة العربية، وحين تركز على اللغة العربية في هذا التحديد فنراها الإطار الذي نظم كل أشكال التعبير والتفكير[3]، ومن هنا يتبين لنا أن الموروث هو كل ما ورثناه عن أجدادنا العرب.

من خلال هذا القول يتضح لنا أن نقطة الدلالة على هذا النتاج تراث قد اكتسبت مفهوما وجدانيا وإيديولوجيا جعله الموروث الغني والأدبي، وهو المفهوم الذي" لم يكن حاضرا في خطاب أسلافنا ولا في حقل تفكيرهم عدا أنه غير حاضر في خطاب أي لغة من لغات الحياة المعاصرة، والتي نستورد منها المصطلحات والمفاهيم الجديدة علياً،" وهذا ما جعل مصطلح الموروث جديدا وحديثا مواكبا للفكر المعاصر، ومن الملاحظ أن ما يعاني منه هذا الموروث هو" في فئتين اثنتين" غياب الروح النقدية وفقدان النظرة التاريخية، وطبيعي أن نتاج هؤلاء هو تراث يكرر نفسه"[4].

وهناك فئة ترى أن تحدث قطيعة مع التراث وهذا راجع إلى التفكير المعاصر.

وترى نبيلة إبراهيم:" أن التراث الشعبي بكل صوره وأشكاله يعد المكون الأساسي لحضارة لا يمكن أن يبدر قيمته وفاعليته إلا مصحوبا بحركته المد الحضاري لهذا الشعب أو ذاك"

---

[1] المرجع نفسه .

[2] محمد عابد الجابري، التراث والحداثة،دراسات ومناقشات، مركز دراسات الوحدة العربي، بيروت لبنان، 1991،ط1، ص 45.

[3] ينظر سعيد يقهين، الرواية والتراث السردي، رؤية للنشر والتوزيع، مصر ،ط1، 2010، ص 29.

[4] محمد عابد الجابري، التراث، التراث والحداثة، ص 23

ليصبح الموروث الشعبي مصطلحا جامعا للجوانب أو الموارد الثقافية سواء الفكرية أو المادية- التي يتوارثها الناس عبر الأجيال، وبذلك تكتسب صفة البقاء والاستمرار وتصبح في جانب من جوانبها فعلا مؤثرا، وسلوكا مرعبا يحرص عليه أصحابه، ويحاولون تأكيده وترسيخه لدى غيرهم[1].

لما كان التراث يتداخل مع غيره من المفاهيم كالتاريخ والموروث كان لا بد توضيح هذا التداخل لكي تتكشف الرؤية ويزول الغموض الذي يشوب هذا المفهوم" غير أنه لا يمكن الخلط بين مصطلحي التراث والتاريخ فإذا كان التاريخ هو الماضي في بعده التطوري فإن التراث هو الماضي موصولا بالحاضر ومبدأُ أخلاقه، كما يمكن التمييز بين التراث والموروث، إنطاقا من أن التراث هو استمرار الماضي في الحاضر، في حين أن الموروث هو ما نملكه من التراث عينا فصبح بمثابة الخاص من العام ولا يقتصر الموروث الذهني بعناصره الدينية والخلقية والفلسفية، بل يتعدى إلى الموروث المادي"[2]

وبذلك يكون التراث متعلقا بمدى تأثير الماضي في الحاضر، في حين الموروث يمس مختلف ما خلقه السلف للخلف في مختلف مجالات الحياة.

كذلك يعتبر الموروث مصطلح يطلق على الممارسات العلمية و القولية والاحتفالية للشعب بصورتها التلقائية الجمعية، فهي إذ تيار الحياة الثقافية الشعبية المتدفق والمستمر، يضاف إليه باستمرار مكتسبات جديدة، وخبرات تضاف إلى الموروث المتبقي فنثريه، ونتطور فيه.

مما يجعله مستمرا في الوجود والحياة،[3] ومشكلا هوية عربية إسلامية ترسخ الوجود القومي الحضاري بين الأمم، لتراثه بمعارف جمعية وقيم إنسانية وخلاصة" ما تراكم خلال الأزمنة من تقاليد وعادات وتجارب وخبرات، وفنون وعلوم[4]، وهو ما حدا به لأن يكون خصبا يفجر دلالات متنوعة، وتأويلات متعددة تقود لمعان جديدة من شأنها أن توضح نظرة الكاتب الخاصة لما حوله.

ثالثا ـ نشأة الموروث:

[1] إبراهيم أبو طالب، الموروثات الشعبية اليمنية في الرواية اليمنية، إصدارات وزارة الثقافة والسياحة، صنعاء، دط، 2004، ص 20.

[2] بوجمعة بوعتير وآخرون، توظيف التراث في الشعر الجزائري الحديث، مطبعة المعارف عنابة، الجزائر، 2007، ط1، ص 09.

[3] خور رشيد، فاروق، السيرة الذاتية الشعبية العربية، المكتبة الثقافية،مصر 1988، ص 20

[4] وتاد محمد رياض، توظيف التراث في الرواية العربية المعاصرة، منشورات اتحاد كتاب العرب، ط1، 2002، ص 18

يشكل الموروث الشعبي خصبة وترجمة بليغة لمشاعر العامة من خلال تراثه واعتنائه بألوان وضروب شيقة ومثيرة من التعابير والإيماءات التي تصوغ مراحل وفترات متباينة من التاريخ البشري، والكيان الإنساني.

والموروث الشعبي أو المأثورات الشعبية مصطلح أقره مجمع اللغة العربية كترجمة عربية دقيقة للمصطلح الإنجليزي (FOLKE- LORE) الذي يشاع استخدامه منذ النصف الثاني من القرن التاسع عشر، بعد أن استخدمه العالم الإنجليزي سيرجون وليم تومر"[1].

- في اللغة الإنجليزية تعني كلمة (LE FOLKE- LORE) " حمة الشعب"
- أما في اللغة الفرنسية فإن كلمة (LE FOLKE -LORE) تعني" مأثورات الشعب.

وقد اتسع المصطلح في الثقافة العربية وكذا الغربية ليشمل التراث الشعبي الحي والإبداع الشعبي بأنماطه المتنوعة والمتعددة مثل:" النثر الفني في الحكايات والأمثال والألغاز والسير الشعبية، وحتى سائر فنون التعبير الأدبية سواء كانت صياغات شعرية أو منظومات ومواويل، أو تتمثل في الفنون التشكيلية أو في العمارة بما يتميز به من زخرفته ونقوش[2].

فالمأثورات الشعبية مجموعة أشكال تعبيرية تعتمد اللغة أحيانا، كما تتوصل اللغة والحركات والإيماءات أحيانا أخرى لترسم بذلك لوحات فنية إبداعية تعبر عن تاريخ جماعي ساذجة التركيب، ولغة بسيطة في شكلها، عميقة ومركزة في محتواها تسعى جاهدة للتعبير عن عادات وتقاليد وطقوس الجماعة.

لقد أصبح التراث الشعبي موضوع اهتمام الباحثين بعد أن كان كل إنتاج شعبي محط إزدراء وتقليل باعتبار مؤلفات بدائية فجة مخصصة لسواد الناس غير المحصلين وبالتالي فهي لا تستحق اهتمام الأدباء الجادين[3].

الموروث الشعبي العربي" فقد مر بمرحلتين و ربما يجوز لنا أن نسمي المرحلة الأولى بمرحلة الريادة والتدوين، والمرحلة الثانية التي بدأت منذ فترة لا تزيد عمرها على أرعين سنة، بمرحلة الأبحاث والدراسات التي عالجها ولا يزال يعالجها الكثيرون[4].

إن ما يميز الموروث العربي هو"محاولة عبد الرحمن ابن خلدون في العصر الوسيط التي أراد بها أن نتعرف على ادب اللهجات الدارجة من الموشحات والأزجال التي كثرت في زمانه في الأندلس"[1]

---

[1] الطاهر وطار، الموروث الشعبي في الرواية الجزائرية، رسالة لنيل الدراسات المعمقة نموذجا، للطالبة مريم لطرش، جامعة محمد الأول، وجدة المغرب، 2002-2001.

[2] المرجع نفسه.

[3] المرجع نفسه

[4] روزلين ليلى قريش، القصة الجزائرية ذات الأصل العربي (دط)، ديوان المطبوعات الجامعية 2007، ص22

غير ان ابن خلدون قد خاف أهل زمانه واهتم بالدراسات الأدبية الشعبية، إذ جمع رصيدا من أشعار التسيير لا سيما السيرة الهلالية.

وفي عصر النهضة السالفة الذكر، كان الاهتمام بالتراث محددا في الدعوة إلى استرجاع الهوية، التي حاول طمسها الاستعمار الغربي المتواصل للبلدان العربية، إذ أصبح وسيلة دفاع " لأن العودة إلى التراث في حياتنا المعاصرة هي جزء من عملية الدفاع عن الذات، وهي عملية مشروعة، وتشرك فيها جميع شعوب الأرض.

تبقى الموقف الثاني الذي يجعل التراث ضرورة من ضرورات حياتنا المعاصرة، فيتعلق أساسا بمواجهة الذات نفسها، إن الارتفاع إلى مستوى الحياة المعاصرة، في المجالات الاقتصادية والاجتماعية والثقافية كافة، من جعله ما يتطلب إعادة بناء الذات نفسها، وإعادة بناء الذات من إعادة بناء التراث[2].

ويلاحظ أن التراث الشعبي الجزائري يزخر بمضامين ثرية ومتنوعة، لأنه مزيج من الثقافات التي أنتجتها العديد من الحضارات المتعاقبة، على المجتمع الجزائري، والتي ساهمت بشكل أو بآخر في تكوين موروث شعبي حافل بالمعاني والدلالات، التي تتضمن أبعادا إنسانية تعين على الإطلاع على الفكر الجمعي، في تلك الحقب الزمنية.

ولعلنا هنا نستطيع استكشاف بعض الأسباب، التي تقف وراء الاهتمام المتزايد، من لدى الأديب الجزائري،حينما يحاول تقديم قراءات الواقع الراهن، من خلال استناده على جملة من الترسبات والمرجعيات السابقة، وهو بمحاولته هذه يتطلع إلى تشييد جسر، يربط الموروث الثقافي المختزن، في الذاكرة الشعبية بجملة المفاهيم الحداثية، التي شكلت وفقا للانفتاح على بعض الثقافات الأخرى وما تحتويه من رؤى وآفاق، لأن الحداثة:" لا تعني رفض التراث ولا القطيعة مع الماضي بقدر ما تعني الارتفاع بطريقة التعامل مع التراث إلى مستوى ما نسميه بالمعاصرة، أعني مواكبة التقدم الحاصل على الصعيد العالمي[3].

2 ـ أشكال الموروث الشعبي

أولا ـ المثل الشعبي:

لغة:

مثل كلمة تسوية يقال مثله ومثله كما يقال يشبه ويشبهه والمثل في قوله عز وجل:" ولله المثل الأعلى" قد عرفه صاحب معجم لسان العرب على أن :" مثل كلمة تسوية، يقال:" هذا

---

[1] عبد الحميد بو سماحة، توظيف التراث الشعبي في الرواية عبد الحميد بن هدوقة، ص 09

[2] محمد عابد الجابري، التراث والحداثة، ص252

[3] ينظر، بلحيا الطاهر، التراث الشعبي في الرواية الجزائرية، دط، منشورات التبيين، الجاحظية، الجزائر، 2000، ص12

مثله ومثله كما يقال يشبهه وشبَهَهُ بمعنى، قال ابن بري الفرق بين المماثلة والمساواة، أن المساواة تكون بين المختلفين في الجنس والمتفقين لأن التساوي هو التكافؤ في المقدار لا يزيد ولا ينقص، وأما المماثلة فلا تكون إلا في المتفقين وأيضا المثل والمثيرُ، كالمثل والجمع أمثال.. والمثل: الحديث نفسه، والمثل: الشيء الذي يضرب لشيء فيجعله مثله[1].

اما المعجم الوسيط يعرفه على أن:" المثل الشبه والنظير، المثل: المثل جملة من القول منقطعة الكلام.. تنتقل ممن وردت فيه آل المشابهة بدون تغيير، مثل الضيف صنعت اللبن.. جمع أمثال"

أما في القرآن الكريم قد ذكر في قوله تعالى:" الله نور السموات والأرض مثل نوره كمشكاة فيها مصباح المصباح في زجاجة الزجاجة كأنها كوكب ذري يوقد من شجرة مباركة زيتونة لا شرقية ولا غربية يكاد زيتها يضيء ولو لم تمسسه نار نور على نور يهدي الله بنوره من يشاء ويضرب الله الأمثال لناس والله بكل شيء عليم" سورة النور،آية[2]35.

ونلخص في القول من خلال ما قدمناه إلى أن المثل في التراث القرآن الكريم يدل على التشبيه في موضع وعلى الموعظة والعبرة في موضع آخر وعلى التسوية.

اصطلاحا:

يعتبر المثل من بين أكثر الفنون الأدبية انتظارا بين مختلف شعوب العالم لأنه يعبر عن سلوكهم وأسلوب حياتهم، كما يحفظ ثقافتهم عبر التاريخ:" فالأمثل في كل قول خلاصة تجاربهم ومحصول خبرتهم" يعرف ابن المقفع المثل فيقول:" إنه إذا جعل الكلام مثلا، كان أوضح للمنطق وأنق للسمع، وواسع لشعوب الحديث"[3]

وعرفه**إبراهيم النظام** فقال:" يجتمع في المثل أربعة لا يجتمع في غيره من الكلام، إيجاز اللفظ، إصابته المعنى، حسن التشبيه وجودة الكتابة فهو نهاية البلاغة.

ونستنتج من خلال التعريفيين أن سمات المثل الشعبي الأساسية:" الإيجاز والبلاغة والتشويق والإيضاح والاتساع.

أما الفرابي فيرى أن المثل ما ترضاه العامة والخاصة، في لفظه ومعناه حتى استبدلوه فيما بينهم، وفاهمو به في السراء والضراء فاستندوا به الممتع من الدار وتوصلوه به إلى

---

[1] ابن منظور، لسان العرب، المجلد 11، ص 610-611

[2] سورة النور، الآية 35.

[3] أبو الفضل أحمد بن محمد بن إبراهيم النيسابوري الميداني، معجم الأمثال، ج1،دار الفكر، بيروت، لبنان، 2002، ص 18.

المطالب القصية وتفرجوا به من الكرب والكربة وهو أبلغ الحكمة، لأن الناس لا يجتمعون على ناقص أو مقصر في الجودة أو غير مبالغ في بلوغ المدى في المنافسة[1].

وانطلاقا من كل ما تقدم فيتضح لنا أن المثل الشعبي قول موجز، يمتاز بالصيرورة وسرعة الانتشار ولطف اللفظ والمعنى والإيقاع الذي ييسر نلقى المثل وحفظه واستعادته إلى جانب تنوعه لمجالات الخطاب واستخدامه في كل المناسبات المفرحة منها والمحزنة.

ثانيا ـ الحكاية الشعبية:

لغة:

يشتق مصطلح الحكاية من الحكي، وجاء في لسان العرب" الحكي" كقوله حكيت فلانا وحاكيته فعلت مثل فعله أو قلت مثل قوله سواء لم أجازوه[2]، كما جاء في الصحاح" حكيت وحاكيته إذا فعلت ما فعل وهيئته أو يروى فوق ما أحكي أي فوق ما أقوله من الحكاية.

اصطلاحا:

هي قصة ينسجها الخيال الشعبي حول حدث مهم وأن هذه القصة يستمع الشعب بروايتها والاستماع إليها لدرجة أنه يستقبلها جيل بعد جيل عن طريق الرواية الشفوية[3]، فالحكاية الشعبية تكون نسيج خيال حر ينسج أحداثا مهمة للشعب يرويها في شكل قصص ممتعة من جيل إلى جيل، وهي الخبر الذي يتصل حدث قدم ينتقل عن طريق الرواية الشفوية عن جيل آخر[4]" فتكون بذلك مادتها الواقع الاجتماعي والنفسي المعاش لأفراد الجماعة فهي ترتبط بمناسبات معينة، ورايتها ليست مكرا على الرواة المحترفين وإنما يرويها جمع من الناس من مختلف الأعمار، ويمكن القول أيضا أن الحكاية الشعبية:" أثر قصصي ينتقل مشافهة أساسا يكون نثرا يروي أحداثا خيالية لا يتعقد راويها ومتقيها في حدوثها الفعلي"[5]

فالحكاية نصف الواقع والحقيقة بطريقة خيالية للتعبير عن ظروف حياته تتخذ مادتها من الواقع النفسي الاجتماعي الذي يعيشه الشعب والحكاية الشعبية بشكل قديم من أشكال الأدب الشعبي يعود إلى الآلاف السنين" ولعلنا نستطيع أن نعلل الشغف بالحكايات الشعبية

---

[1] جمال الدين الشيبي، تمثال الأمثال، تحقيق وشرح قصي الحسين، مكتبة الهلال ، بيروت، ط1، 2003، ص12.
[2] ابن منظور، لسان العرب، ج3، دار احياء التراث العربي، لبنان، ط3، 1990،ص 273
[3] نبيلة إبراهيم، مرجع سابق، ص 119
[4] نبيلة إبراهيم، مرجع سابق، ص 119.
[5] عبد الحميد بورايو، الأدب الشعبي الجزائري، ص 185.

بالاتصاف هذه الحكايات شكلا ومضمونا بالشعب لذلك نجده يودعها أحلامه ومعتقداته و أماليه[1].

النمط الأكثر تداولا لدى الناس فقد عبرت بصدق عن طبيعة العصور والبيئات فكانت الحكاية مرآة عاكسة لدلالات متنوعة تنسجم مع الدلالات الفنية وقد دفع تنوع موضوعاتها الباحثين إلى استخراج عدة أنواع لها كالحكاية الهزلية وحكايات الألغاز والحكايات المرحة وغيرها.

ثالثا ـ الأغنية الشعبية:

هي لون من ألوان الفنون القولية الشعبية لا تقل أهمية عن الألوان الأخرى، لها ارتباط مادي وعقلي بواقع المجتمع، فهي أداة تعبيرية تعبر عن حالة وجدانية تفصح من خلالها عن المشاعر، والإنفاعلات والأحاسيس، والمقصود منها:" تلك المقطوعة الشعرية التي تغني بمصاحبته الموسيقى في أغلب الأحيان، والتي توجد في المجتمعات التي تتناقل أدأبها عن طريق الرواية الشفاهية من غير حاجة إلى تدوين، كما أنه يتم حفظها، دون كتباتها في معظم الأحيان، هذا بالإضافة إلى اعتماد موسيقاها على السماع وليس على " النوتة الموسيقية" أي أن الأغنية الشعبية تؤدي في أغلب الأحيان بحضور الموسيقى[2]

كما أنها تتناقل بفعل الرواية الشفاهية، كما تعد الأغنية الشعبية أيضا جزءا من الثقافة الشعبية وتختلف عن باقي الأشكال كما قالت" نبيلة إبراهيم" بأن " الغنية الشعبية تختلف عن غيرها من سائر التعبير الشعبي في كونها تؤدي عن طريق الكلمة واللحن معا، له عن طريق الكلمة وحدها[3]، فالأغنية الشعبية تجمع بين الكلمة واللحن.

كما في **كراب (KRAP)** قد عرف الأغنية الشعبية بأنها "قصيدة شعرية ملحنة مجهولة الأصل كانت تشيع بين الأميين في الأزمنة الماضية وما تزال حية في الاستعمال" [4].

أضاف كراب أن الأغنية الشعبية شائعة أكثر بين الأميين وبهذا يكون قد استبعدها عن الطبقة المثقفة.

---

[1] طلال العرب، أولية النص نظرات في النقد والقصة والأسطورة والأدب الشعبي، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر، ط1،، 1999، ص 121.

[2] فاروق أحمد مصطفى، ومرقت العشماوي عثمان، دراسات في التراث الشعبي، دار المعرفة الجامعية للطبع والنشر والتوزيع، ط1، 2008، ص204.

[3] نبيلة إبراهيم، أشكال التعبير في الأدب الشعبي، ص 237

[4] أحمد مرسي، الأغنية الشعبية ، سلسلة المكتبة الثقافية، العدد 245، الهيئة المصرية العامة للتأليف والنشر، القاهرة، 1970، ص 10.

في حين نجد " **بوليكافسكي" (BOLIKAFSKY)** يؤكد أن" الأغنية الشعبية هي الأغنية التي أنشأها الشعب، وليست هي الأغنية التي تعيش في جو شعبي[1]"، ففي هذا التعريف نجد بوليكافسكي يؤكد أن الأغنية الشعبية من إنشاء الجماهير الشعبية.

وفي الجانب المقابل للجانب الذي يقف فيه" **بوليكافسكي"** يعرف**ريتشارفايس (RITCHARD FAYS)** أن الأغنية الشعبية ليست بالضرورة هي الأغنية التي خلقها الشعب ولكنها الأغنية التي يغنيها الشعب والتي تؤدي وظائف يحيا بها المجتمع الشعبي"[2].

فالأغنية الشعبية حسبه هي تلك الأغاني التي تعرض للتغيير والتعديل، ولا ضرورة الأمور الأخرى باعتبارها نتاج فكري و"تعبير صادق عن وجدان الشعب وشكل أدبي يودعه الشعب قيمة حضارية في انفصال صادق"[3].

رابعا ـ الأسطورة:

لغة:

لقد تباينت أراء الباحثين والدارسين حول مفهوم الأسطورة التي تعد مادة فلكلورية ورافدا أساسيا من روافد التراث الشعبي هذا يؤدي إلى عدم إفعالها أو تجاهلها عند دراسة التراث الشعبي لدى شعب من الشعوب باعتبارها شكل من أشكال التعبير الشعبي التي تعددت تعريفاته ومنها: ورد في لسان العرب لان منظور في مادة سطر" الصف من الكتاب الشجر والنخل ونحوهما ولجمع كل ذلك أسطر أسطار والسطر، الحظ والكتابة[4].

ويرى ابن منظور الأساطير والأباطيل، أحاديث لانضمام لها، وحدتها إسطار وإسطار وأسطر (ج) سطر: وقال أبو عبيدة: جمع سطر على أسطر ثم جمع أسطر على أساطير وسطرها: ألفها وسطر علينا أتانا بالأساطير[5]" وعليه فالأسطور ليست إلا هذيانا من القول وباطلا من الخيال وغيابا عن دائرة المنطق.

ونلاحظ مما سبق أن الأسطورة هي نقل عن القدماء مع بروز واضح للخيال وعدم الصحة فهي ليست إلا هذيانا عن القول وباطلا من الخيال وغيابا عن دائرة المنطق فكلمة أسطورة عربية الأصل وردت في آيات كثيرة من سور القرآن الكريم في قوله تعالى:" يقول الذين كفروا إن هذا إلا أساطير الأولين[6]" ففي القرآن الكريم فإننا لم نجدها فرد بصيغته الإفراد وإنما بصيغة الجمع في سورة مكية وفي ترتيب بعينه وهي مشتقة من الفعل سطر

---

[1] نفس المرجع ، ص ن
[2] نفس المرجع ، ص ن
[3] نبيلة إبراهيم، أشكال التعبير في الأدب الشعبي، ص25.
[4] ابن منظور، لسان العرب، مج4، دار صادر بيروت، 1992، ص 362، مادة سطر
[5] ابن منظور، لسان العرب، ص 363- 364
[6] سورة الأنعام، الآية 25.

واسم المفعول منها مسطور حيث قال تعالى:" ن والقلم وما يسطرون[1]" وقوله أيضا" كان ذلك في الكتاب مسطورا"[2]

أما في العربية فإن الأسطورة هي الأحدوثة وجمعها أساطير وهي الأحاديث التي لا يسند لها من الحقيقة وهي الأباطيل والأكاذيب ويبدو أنها تعريف لكلمة **(ISTORIA)** الإغريقية التي تعني رواية أحداث ما مضى للتسلية من غير تدقيق ولا توثيق فالأسطورة إذن في المعاجم العربية بمعنى " (الكتابة) أو (الأباطيل) أو (الأحاديث) التي نظام لها أو الأقاويل المزخرفة والمنمقة أو تأليف لا أهل له كلها تتفق في مخالفتها للأصول والمعتاد عليه وبعدها عن الحقيقة، واستناد إلى مصادر خيالية من صنع البشر[3]"

تروي لنا الأساطير قصص والكائنات العجمية، والظواهر الكونية والنظم الاجتماعية، ومعتقدات الإنسان في القديم فبواسطتها أصبح الكون معروفا لدى الإنسان وعن طريقها يضفي على تجربته طابعا فكريا.

اصطلاحا:

يعد هذا المصدر أوثق مصادر تراثنا والتراث الإنساني عموما وتعد الأسطورة أهم منبع ومرجع للتراث بشكل واسع ومن زوايا متعددة، فالأسطورة" جنس أدبي قديم قدم الإنسانية إذ لم نقل إنه أقدم مصدر لجميع المعارف الإنسانية ومن ثم فإن كلمة أسطورة (MYTHE) ترتبط في أصل نشأتها دائما بداية النشأة الإنسانية قبل أن يمارس الإنسان السحر كضرب بدائي من ضروب معرفة ما، والأسطورة تعني عدم الخرافات وأخبار الآلهة وأنصاف الآلهة والأبطال الخرافيين عند الشعوب القديمة وفي الجاهلية التاريخ،وكل ما له صلة بالوثنية وطقوسها،وأسرارها ورموزها، ما ظهر منها وما بطن ولم يقتصر شرع اللفظة للدلالة فقط على الأساطير الكلاسيكية اليونانية، والرومانية بل أصبحت تطلق على كل ما يندرج في هذا المفهوم من ماضي الشعوب الأخرى[4].

فهي حكاية مقدسة ذات مضمون عميق عن معاني ذات صلة بالكون والوجود وحياة الإنسان،ويقصد عادة بالأسطورة،" ما نسجه الخيال جماعة ما من قصص حول الآلهة والكائنات المقدسة التي تعتقد فيها هذه الجماعة، ولهذه الأساطير علاقة وطيدة بالطقوس الاحتفالية الموجهة لعبادة الآلهة[5].

---

[1] سورة الأنعام، الآية 01
[2] سورة الأنعام، الآية 06
[3] رجاء أبو علي: الأسطورة في شعر أدونيس، دار التلوين والتأليف والترجمة، دمشق، ط1، 2009، ص11.
[4] ينظر سعيد سلام، التناص التراثي، مرجع سابق، ص 325.
[5] عبد الحميد بورايو- الأدب الشعبي الجزائري، دار القصبة للنشر، الجزائر، دط، 2007، ص146

فالأسطورة هي قصص خيالية تصفها مخيلة الإنسان وتدور حول الآلهة والكائنات الخارقة المقدسة التي يمن بها.

فالأسطورة تختلف عن باقي أشكال التعبير الشعبي في كون مؤلفها لا يتعرض فيها إلى تفاصيل حياته الخاصة وإنما بتناول أسرار ومعاني بحاجته إلى التدقيق والتعميق والتمحيص لإدراكها وفهمها.

وتقول نبيلة إبراهيم في تعريفها للأسطورة، بأنها :" محاولة لفهم الكون بظواهره المتعددة أوهي تفسير له إنها نتاج وليد الخيال ولكنها لا تخلو من منطق معين ومن فلسفة أولية تطور عنها العلم والفلسفة فيها بعد والأسطورة وسيلة حاول الإنسان عن طريقها أن يضفي على تجربته طابعا فكريا وهي عملية إخراج لدوافع داخلية في شكل موضوعي"[1] فقد كان الهدف من ظهور الأساطير إيجاد تفسير للظواهر المختلفة وخاصة الكونية ومحاولة الإيجابية عن مختلف التساؤلات التي تشغل بال الإنسان منذ البدء.

مهما تعددت تعريفات الأسطورة بسبب تعدد منطلقات الدرس الأسطوري وغيابا ته ووسائل وتداول المصلح في مختلف مجالات العلوم الإنسانية ومهما يكن فثمة قاسما مشتركا يجمع بينهما جميعا، فهي تتفق في كون الأسطورة" رواية أفعال إله أ شبه إله لتفسير علاقة الإنسان بالكون أو بنظام اجتماعي بذاته أو عرف بعينه، أو بيئة لها خصائص تنفرد بها أو هي مظهر محاولات الإنسان الأول كي ينظم تجربة حياته في وجود غامض خفي إلى نوع ما من النظام المعترف به"[2]

كما تعرف بأنها وسيلة حاول الإنسان عن طريقها أن يضفي على تجربته طابعا فكريا أو يخلع على حقائق الحياة العادية معنا فلسفيا[3].

من خلال التعريفات السابقة يمكن القول أن الأسطورة تقوم أساسا على التأمل الذي يدفع الإنسان الجنوح للخيال ومحاولته تفسير كل الظواهر الغربية الغامضة ومحاولة التعبير عنها بشكل موضعي للوصول إلى الحقيقة المؤكدة.

الأسطورة وأنواعها

1 ـ تعريفها ونشأتها

[1] نبيلة إبراهيم، أشكال التعبير في الأدب الشعبي، دار غريب للطباعة ، القاهرة، ط3، 1981، ص10.
[2] نضال الصالح، النزوع في الرواية العربية المعاصرة، منشورات اتحاد الكتاب العرب، دمشق، ط2، 2001، ص11.
[3] نبيلة إبراهيم، أشكال التعبير في الأدب الشعبي، ص11

أولا ـ مفهوم الأسطورة:

أ- المدلول اللغوي:

جاءت لفظة الأسطورة في المنظور اللغوي في باب السين " سطر: السطر والسطر: الصف من الكتاب والنخل ونحوها... والجمع من كل ذلك أسطر وأسطار وأساطير..."[1] بمعنى تقسيم وتصفيف الأشياء فالأسطورة تعني الكلام المسطور المصفوف الذي يظهر كقصائد الشعر.

وقال الزجاج في قوله تعالى:" وإذا قيل لهم ما ذا أنزل ربكم(05) قالوا أساطير الأولين..." بمعنى الأباطيل والخرافات، أحاديث لا أساس لها من الصحة، خبر لابتداء محذوف المعنى، وقالوا الذي جاء به أساطير الأولين، معناه سطره الأولين وواحد الأساطير أسطورة كما قالوا أحدوثة وأحاديث و... الأساطير، الأباطيل، والأساطير: أحاديث لا نظام لها، واحدتها إسطار، بالكسرة وأسطيرٌوأسطيرة، وأسطورٌ و أسطورةٌ بالضم[2]، بمعنى حفظها أي رتبها.

وقد وردت لفظة أساطير في معجم الوسيط بمعنى أسطورة: الكتابة، الترتيب ، التقطيع (الساطور) التسطير بمعنى رسم خطوط بالمسطرة ونقصد بها الأكاذيب والأساطير " سطر الكتاب، سطر كتبه، فلانا، صرعه والشيء بالسيف قطعه (أسطر): الشيء أخطأ في قراءته، ويقال، أسطر اسمي: تجاوز السطر الذي هو فيه، (سطرٌ) الكتاب: سَطَرَهْ والورقة: رسم فيها خطوطا بالمسطرة.

والعبارة ألفظها ويقال: سطر الأكاذيب وسطر علينا قضى علينا الأساطير (أستطر) الكتاب سَطَرَهُ.

(الأساطيل)هي الأباطيل والأحاديث العجيبة، وفي التنزيل " إذا هذا إلا أساطير الأولين" الأنفال 31، واحدها إسطار، إسطر، وأسطر بالهاء في الثلاثة"[3].

أما في المعجم الوجيز فقد وردت لفظة أسطورة تحت مادة سطر بمعنى (سطر) الكتاب: سطر كتبه فهو مسطور.

(سطر) الورقة: رسم فيها خطوطا بالمسطرة.

والأساطير هي الأباطيل والأحاديث العجيبة وأحاديثها أسطورة،[4]

---

[1] ابن منظور، لسان العرب، دار الصادر، ط4، بيروت، لبنان، 2005، ص 181.

[2] المصدر نفسه، ص 182

[3] مجمع اللغة العربية، معجم الوسيط، مكتبة الشروق الدولية، ط4، (د م)، 2004، ص 429

[4] مجمع اللغة العربية، معجم الوجيز، طبعة خاصة بوزارة التربية والتعليم، (د،م)، (د،ت)، ص 315.

لم ترد كلمة أسطورة في القرآن الكريم أقدم أثر مدون، في صيغة الفرد وإنما صيغ الجمع، وفي تركيب بعينة هو (أساطير الأولين) الأنعام 26، وهي مشتقة من سطر واسم المفعول منها مسطور (ن والقَلَمْ وَمَا يُسَطِرُونَ) سورة القلم الآية01، " أو كَانَ ذلكَ الكِتابُ مَسْطُورَا" سورة النحل الآية 24[1].

يلاحظ من خلال تتبعنا لمادة (سطر) في المعاجم اللغوية أن معناها تغير من معجم لآخر، بسبب تغيير الحقب الزمنية التي ألفت فيها هذه المعاجم إلا أن ذلك لا يعني اتفاقها في المعنى الجوهري لمادة " سطر" فمصطلح أسطورة وإن لم يرد بصيغة الإفراد إلا أنه ورد بصيغة الجمع (أساطير) والتي تعني الحكايات الخرافية والأحاديث الخارقة للعادة.

أما الاختلاف في معناها فيكمن في أنه في المعجم الوسيط وكذا في المعجم الوجيز، ثم ربط هذا المعنى بالمستجدات كذكر المسطرة، وهذا ما لا نجده عند" ابن منظور" في لسانه، وقد ذهب اللغويين في تغريح هذه الكلمة مذاهب شتى ، فها أبو عبيدة عالم اللغة الشهير (ت0210) يعتبر أن صيغتها هي صيغة منتهى الجموع، لأن أساطير عنده جمع أسطار، وأسطر جمع سطر"[2]

وجاء في قوله تعالى:" وقالوا أساطير الأولين اكتتبها فهي تملى عليه بكرة وأصيلا" الفرقان الآية 05،ولذلك فإن أساطير الأولين هي دوما أساطير السابقين وقلما نجد

شعبا من الشعوب يقر بأن أساطير إدراجها في كثب الأساطير، لذلك فإنها قد تندرج ضمن أبواب شتى كالكتب العلمية.

ب- المفهوم الاصطلاحي:

غني عن القول أن الأساطير الشعوب المختلفة مترابطة في أسسها، وأن لكل شعب مثيولوجية خاصة به، فالأسطورة تختلف عن الخرافة في كونها تتناول الآلهة فلا يمكن تخيل الأسطورة خالية من الخرافات.

جاءت الأسطورة عند اليونان بمعنى علم الأساطير، الذي يقابله المصطلح الأجنبي (MYTHOLOGG) أو مجموعة من الأساطير المتصلة بالآلهة وأصناف الآلهة، والأبطال الخرافيين عند شعب ما[3].

---

[1] محمد عجينة، أساطير العرب (عن الجاهلية ودلالتها) دار الفارابي، ط1، بيروت، لبنان، 1924، ص 16

[2] محمد عجينة، أساطير العرب، المرجع نفسه، ص ن

[3] ينظر، أحمد إسماعيل النعيمي، الأسطورة في الشعر العربي قبل الإسلام، سينا للنشر، ط1، القاهرة، دت، ص 28.

أما في قاموس مصطلحات النقد الأدبي المعاصر، فالأسطورة حكاية أو رواية شعبية أو إنسانية متصلة بحياة أحدى الأمم تهدف إلى التعبير عن بطولة أو قيمة ذات أثر هام في نفوس الناس والأمة[1].

نفهم من خلال هذا التعريف أن الأسطورة هي تلك الروائية أو القصة التي تركها الأولون، وهي الطريقة التي عبر بها الإنسان البدائي عن أفكاره وتصوراته .

والأسطورة كلمة مشتقة من لفظ (mythe) والتي تعني المنطوق وقد صاحبت الكلمة معنى واحد الجزء القولي الصاحب شعائر الدينية، أو حركة الأديان البدائية الأولى[2].(mythe) تعدد استعمالها وأصبحت تعني الحكاية التي تختص بآلهة وأفعالهم ومغامراتهم فالأسطورة هي تلك الدين البدائي الذي يسعى لتفسير الطبيعة والكون والقوى الغيبية.

ولقد وردت في دائرة المعارف" للبستاني" أن " الخوري ميخائيل" غبرائيل" هو أول من استعمل لفظة الأسطورة للتعبير عن المضمون (mythologie) والذي يعني الحكايات القديمة[3].

وعلى هذا الأساس فالأسطورة تعتبر مظهرا من مظاهر الخوارق والعمود الأساسي للميثولوجيا، كما ذهب أحد المستثمرين المستشرقين إلى أن الأسطورة قريبة الصلة بقريناتها في اليونانية واللاتينية (أسطوريا)" historia ، تدل على القصة أو الرواية أو التاريخ الذي كتبها الأولون وحكايات وهي الأغلب أحداث خارقة للعادة وأباطيل.

والمقصود من هذا أنها أخبار تؤثر على الماضيين لا سيم (أساطير الأولين) التي وردت في القرآن الكريم، فأساطير الأولين في نظر قريش هي ما نجده في القرآن الكريم من قصص الأولين منها ما يسمى حديثا، منها ما يسمى حديثا، ولقد اشتملت الأسطورة على عدة معاني منها ما، قصص، خبر[4].

ويحدث أن الأسطورة ترتبط بالعلوم ارتباطا وثيقا، فقد كانت الأسطورة في البدء منبع الإلهام الأدبي، وفي النهاية دافعا إلى علوم حديثة كثيرة، كعلوم الانثروبلوجيا، والإتثولوجيا، والسيكولوجية[5].

---

[1] ينظر، سمير سعيد حجازي، قاموس مصطلحات النقد الأدبي المعاصر، دار الآفاق العربية، ط1، د م، 2001.
[2] ينظر، عزن محمد جاد، نظرية المصطلح النقدي، مطابع الهيئة المصرية العامة للكتاب، دط، مصر، 2002، ص 406.
[3] ميخائيل مسعود، الأساطير والمعتقدات العربية قبل الإسلام، دار العلم للملايين، ط1، (دم)، 1994، ص 16.
[4] ينظر، محمد عجينة، موسوعة أساطير العرب (عن الجاهلية ودلالتها)، ص 16-17. (جذور التفكير وأصالة الإبداع) عالم المعرفة، دط، ، الكويت، 2002، ص 20.
[5] فاروق خروشيد، أديب الأسطورة عند العرب (جذور التفكير وأصالة الإبداع) عالم المعرفة، دط، ، الكويت، 2002، ص 20.

الأسطورة هي أم العلوم ومنها تسربت ألوان الأدب حيث أصبحت تجري في فكرا لإنسان لتحكي أحلامها ومالها: ورغم أن كلمة أسطورة لدى المسلمين قد وردت كما سبق أن رأيناها في سياق جدل، ومما حكات ، وأستون أو كادت، وكلمة خرافية مقترفة هكذا بمعنى والباطل، وكان نعت أي كلام بأنه من الأساطير تهمة تلصق بخطاب الغير"[1]

نفهم من خلال هاذين التعريفين أنه لا يمكننا أن نستعمل الأسطورة بمعناها المستهجن الذي ما زال موازيا لها، وإنما بمعنى آخر هو معناها المستحسن والنبيل كالخطاب المقدس والحقيقة، أي بذلك المدلول الذي كان وما زال متداولا عند الحديث عن أساطير مختلف الشعوب المعبرة عن أذكارها وتصوراتها الخيالية.

وهناك افتراض آخر هو أن الشعراء استعملوا كلمة خرافة، ولكن الرواة والعلماء المهتمين بجمع الشعر الجاهلي وتدوينه تجاوزوا الأشعار التي تتضمن هذه الكلمة استحياء أو حرجا بعد استعمال القرآن الكريم لها[2].

يتبين لنا بأن القرآن الكريم هو أول من اقترن بالأساطير بعده تفنن الشعراء والعلماء في استعمالاتها.

فمثلا: "مسز لا نغر" تكتب" الأسطورة والخرافة وحاكيات الجان ليست أدبا في ذاتها وليس فنا على الإطلاق بل هي أضعاف وعلى كل فهي في حد ذاتها مادة طبيعية للفن[3]" من خلال هذا التعريف نفهم بأنه لا يمكن فهم الأسطورة بمعناها السطحي دون الغوص في أعماقها.

وهناك الكثير من المفكرين الذين اهتموا بنشأة الأسطورة من أبرزهم" وديع بثور" فالأسطورة حسب أيه الخاص مقتبسة من كلمة يونانية تعني حكاية أو قصة غير حقيقية، أو على عكس الحقيقة، ولقد تطرق الفيلسوف" مرسيا إلياد" إلى مادة أسطورة بمعنى ميتوسmythos عند الإغريق حكاية وأسطورة تروي قصة مقدسة وحادثا وقع في زمن البدء، فالأساطير عنده تنبعث من الحاجة الدينية[4]، فالأسطورة حسب رأي وديع بشور هي تلك المنافية للحقيقية، في حين يعتبرها إلياد مرسيا" تاريخيا مقدسا تخبر عن الحدث وقع في الزمن الأول، زمن البدايات العجيب.

وفي ساحة النقد الحديث تدور الأسطورة حول حقل هام من المعاني، يشترك فيه كل من الديانة، وعلم الإنسان والاجتماع والتحليل النفسي والفنون الجميلة، لكن المصطلح أصبح

---

[1] محمد عجينة، موسوعة أساطير العرب (عن الجاهلية ودلالتها)ص 20.
[2] ينظر: أحمد إسماعيل النعيمي، الأسطورة في الشعر العربي قبل الإسلام، ص22.
[3] محي الدين صبحي، النقد الأدبي الحديث بين الأسطورة والعلم، الدار العربية للكتاب، دط، دم، 1988، ص 102.
[4] جوادي كاشا، نوادي الجمعيات الثقافية، النادي الأدبي للثقافة منتديات تندوف

يحمل معنى سلبي ما بين القرنين السابع عشر والتاسع عشر ميلادي، باعتباره تخيلا، أي أنها غير صحيحة علميا أو فلسفيا.

لكن حديثا أصبح الأسطورة معنى آخر ويظهر ذلك عند" فيكو كولدريجوأمرسون ونبشي"[1]، نفهم من هذا التعريف أنه لا يمكن اعتبار الأسطورة علم منفصل عن بقية العلوم حيث يشترك مع مجموعة من العلوم أساسها علم الاجتماع، والإنسان وعلم النفس.

وتعرفها نبيلة إبراهيم سالم" حيث تقول:" الأسطورة محاولة لفهم الكون بظواهره المتعددة، وهي لا تخلو من منطق معين وفلسفة أولية"[2] ، فلطالما كانت الأسطورة تسعى إلى تفسير الكون وظواهره باعتبارها بعيدة عن الواقع والمعقول.

فالأسطورة تشبه الفلسفة تطورت في أولى مراحلها عن طريق التأمل في ظواهره الكونية المتعددة، والتأمل ينجم عنه التعجب،كما أن التعجب ينجم عنه التساؤل.

فلما يتفق باحثان أو أكثر حول مفهوم الأسطورة باعتبارها مفهوم غامض ومعقد لذا تعددت حولها المفاهيم فمنهم من يراها حقيقة، ومنهم من يراها خرافة، ومنهم من لا فرق بينها وبين التاريخ، ومنهم من يعتقد أنها مجرد أكاذيب، فالأسطورة هي تلك المادة التراثية التي ارتبطت بماضي وبدائية الإنسان، حيث أيقظت في ذهنه تساؤلات عديدة، وبفضلها استطاع الإنسان أن يعبر عن ظروفه وأفكاره ومشاعره، ولقد وفق في المزج بين الواقع والخيال ليؤسس ثقافة بدائية.

ثانيا ـ نشأتها:

يرى" ليفي برول" أن نشأة الأسطورة لم تنتج عن حاجة الرجل البدائي إلى تفسير الظواهر الطبيعية تفسيرا قائما على العقل، لكن هذه النشأة استجابة لعواطف الجماعة القاهرة لذا اعتبر السرد الأسطوري تفسيرا الكيفية مجيء ثقافة أو جماعة معينة إلى الوجود، لكن أغلب المفكرين فروا منشأها إلى أسباب طبيعية منها أن الإنسان كان يقف عاجزا أمام جبروت الطبيعة عندما رأى ما رأى فيها من عناصر ومظاهر أثرت في حياته، مما دفعه إلى التساؤل عن حقيقة ما يتعرض له.

فتخيل وراء هذه المظاهر آلهة تتحكم بها، وصور ذلك في أساطير فكرية عرفت بالأساطير، ومما يدل على هذا المنشأ ذلك الانتشار الواسع بين الشعوب العالم القديم للأساطير التي تتحدث عن الكون ومظاهر الطبيعة مما يدل على عمق الآثار التي تركتها البيئة الطبيعية في نفس الإنسان وفكره كالطوفان العظيم الذي عاشت أساطيره بين معظم

[1] ينظر، رينية وبليك، أوستين وارين، نظرية الأدب، تر، محي الدين صبح، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، (دط) بيروت، 1987، ص 189.

[2] نبيلة إبراهيم، أشكال التعبير في الأدب الشعبي، دار النهضة، ط1، مصر، القاهرة، ص 09

شعوب العالم والنار السماوية التي سقطت على الأرض ومثل الزلزال والأعاصير والمجاعات والأوبئة[1].

فمن خلالها أراد الإنسان أن يوفق سبل تساؤلاته المتحيرة حول ظواهر الكون المتعددة بأن يعطي تفسيرا لسردها؟، ويشبع رغبته الباحثة عن الحقيقة مستندا إلى عالم من الخيال والخرافة في تفسير الظواهر الغامضة التي حدثت للعالم وتعبير عن تطلع الإنسان إلى ما وراء المحسوس فعندما عجز القدماء البدائيون في استيعاب الظواهر الغامضة استيعابا مجردا عزوها إلى قوى غيبية- آلهة- تقربوا مكنها واستمدوا منها العزاء والقوة وبذلك أسنوا الطبيعة وأنسنوزا الآلهة.

أما الدكتور (إحسان عباس) فيرى أن تأثير الأساطير المباشر يكمن في الصلة التي تعقدها بين الإنسان والطبيعة حيث تضمن له خلوده وبقاءه يقول:" للأسطورة

جاذبية خاصة، لأنها بين الإنسان والطبيعة وحركة الفصول وتناوب الخصب والجذب، بذلك تكفل نوعا من الشعور بالاستمرار، فأراد الإنسان بها محاكاة موضوعات الطبيعة اللا حيوية، بهدف تطويعها لرغبات الإنسان البدائي ومطامحه[2].

وذلك عن طريق السحر، فهي تشبع من رغبة الإنسان في أن يجعل من العالم شكلا يمكن السيطرة عليه من خلال عملية التخيل، فكان يحرص على استشارة القوى الكامنة التي سبته في البدء، وذلك من خلال إقامة الطقوس والاحتفالات والشعائر التي تحاول من خلالها محاكاة ما حدث في الدهور الأولى على يد الآلهة، إيمانا منه بأن ذلك سيؤدي إلى النتائج نفسها التي حققتها الآلهة في الأسطورة، إنه تصور يقوم على منطق سحري بدائي مفاده الاعتقاد بإمكانية إحداث الشيء بتقليد عملية حدوثه وهي طقوس تقام لضمان أسباب الخصب وإلغاء لمجتمع القبيلة"[3].

وبما أن الدين مرتبط بالأسطورة منذ القديم فإن هذه الأخيرة تشكل البنية الأساسية الثانية له" فالدين يتكون من ثلاث بنى رئيسية هي (المنعقد، الأسطورة، الطقس) وبنيتين ثانويتين هما (الشعائر والأخلاق)[4] ، فقد كان للأسطورة وجه ديني لا يتأتى إنكاره والوجه الديني الأسطوري لا يمكن أن تطمسه أو تغيبه النزاعات العقلانية والمادية، والذي يبقى ملازما للوعي الإنساني.

---

[1] رجاء أبو علي، الأسطورة في شعر أدونيس، دار التكوين، ط1، 2009، ص 15.
[2] سمية الجندي، الأسطورة في الفكر العربي المعاصر مدخل إلى علم ميثولوجيا مستقل، المعرفة عدد 411، كانون الأول، ديسمبر، 1997، ص 70.
[3] رجاء أبو علي، الأسطورة في شعر أدونيس، ص 56
[4] المرجع السابق، ص 58

وهكذا تبدو الأسطورة في شكلها الأولي:" استجابة دينية متصلة بالشعائر والطقوس فهناك أساطير متنوعة انبثقت من خلال ممارسة الإنسان لطقوس الميلاد والموت وشعائر التفكير وغيرها فهي تمثل رموزا دينية كانت تشبع الإنسان، وترفي رغبته في المعرفة، بما قدمت من تصورات لنشأة الكون، وتفسر سحري لظواهره المتنوعة"[1]

لهذا ألاحظ الارتباط العميق بين الأسطورة والدين من خلال ممارسة الإنسان لمختلف الطقوس الدينية التي أدت إلى ظهور الأساطير.

كما أن الأسطورة مرتبطة بالإنسانية هذه الأخيرة التي تضل تبحث عن علل الأشياء وكذا طبيعة الإنسان التي تدفعه نحو الكمال الحقيقي وفي أحد التفاسير ذكر معنى الآية:" ولئِنْ سَأَلتهُم مَنْ خَلَقَ السَماوَاتَ وَالأَرْضَ وَسَخرَ الشَمسَ وَالقَمَرَ لِيقُولُونَ الله فأنَى يُؤكُفونَ" أي يصدقون عن توحيده بعد إقرارهم بتلك الفطرة[2].

يتضح لنا ما سبق أن الفطرة الإنسانية فقد تتلوث بالشوائب وينسى الإنسان ميثاقه وعهده الله تبارك وتعالى فينحرف عن الطريق السوي ويهيم في عالمه باحثا عن ضالته عندها يصنع آلهة لنفسه ليعبدها، ومثالا يقتدي به ويقدم له القرابين ويقيم له الطقوس وأنواع العبادات ويكون أساطيره ويبتدعها، وعلى هذا الأساس تشبع بعض الحاجات البشرية العامة وتصبح الأسطورة عنصرا ضروريا لا غنى عنه، بالنسبة للثقافات الإنسانية في كل مراحل تطورها.

ولقد اختلفت الآراء وتضاربت فيما بينها، وكثر النقاش والجدل فيما يخص نشأة الأسطورة وطبيعتها ومدلولها في ساحة النقد الأدبي، فلا يمكن أن نتجاهل ما يرعب الإنسان ويشل تفكيره ويحمله على الانتقاد، هو دائما فوق قدرته وخارج نطاق سيطرته، ومن كل هذا تألفت الأساطير، فهناك من ينظر إليها كأنها روايات خرافية، والبعض الآخر يرون أنها ذخائر من طابع بدائي تكشف وتنير العقل الباطن للجماعة[3].

لهذا يعد البحث عن تاريخ أو كيفية نشأة الأسطورة ضربا من المستحيل نظرا لاقتران نشأتها بالمحاولات الأولى لتفسير الظواهر الطبيعية من كسوف وخسوف وأعاصير والتي أوحت جميعها للإنسان إيحاءات كثيرة خلقت لديه مماسا حسيا قلقا بين تلك الظواهر الخارقة وبين حاجاته لتأليف أسطورته المفسرة لها.

والسبب السابق الذي يمنع من معرفته نشأة الأسطورة هو نفسه الذي يجعل منها ظاهرة عالمية، فالأسطورة ظاهرة مشتركة لدى الجميع الأمم في مراحل نموها الأولى، إلا

[1] فاروق خورشيد، أديب الأسطورة عند العرب، ص 30.
[2] رجاء أبو علي، الأسطورة في شعر أندونيس، ص 57.
[3] ينظر، ميخائيل مسعود، الأساطير والمعتقدات العربية قبل الإسلام، ص 25.

أنها ورغم عالميتها تندرج في عدة أنماط تختلف فيما بينها في الهدف والسبب والصيرورة فهناك أسطورة الطقس العادة والتقاليد (Rituel Mythe) وأسطورة الأصل (أصل تكوين الأشياء) gensis mythe، وأسطورة العبادة culte mythe وأسطورة الطل الشعبي folk héro mythe، وأسطورة البحث، القائلة يبعث الإنسان بعد موته Résurrection mythe.

أما في بلاد الشرق (الكنعانيين والمصريين فمن جملة الأنماط الأسطورية التي كانت سائدة، يتميز نمط أسطورة البعث(résurrection) الحياة بعد الموت، وربما يرجع هذا التميز إلى أن الخيال الشرقي كان ولا يزال أكثر حضرية واتساع من نظيره الغربي، أو ربما لأن حياة واحدة لا تكفيهم (كما عند الفراعنة مثلا) والأمثلة على تلك الأنماط الكثيرة وسيتم سردها في توزيع متتال.

ونحن إذا ما عدنا إلى تعاريف المختصين الأسطورة نجدها تتكلم عنها كتفسير لظواهر الحياة وأصل ومجوداتها كأسطورة نرجس مثلا، أو تفسير لمعتقداتهم إزاء ظواهر سماوية إلهية كأساطير البعث والقيامة، وبمعنى آخر نجد نوعين من الأساطير من حيث الهدف نوع يهتم بطبيعة الحياة على الأرض، ونوع يهتم بطبيعة الحياة في السماء، وبمعنى آخر نوع يهتم بالمعلومات وآخر يهتم بالدين[1].

2 ـ أنواع الأسطورة

لكي ندرك كيف نختلف الأساطير وتتنوع بعضها عن بعض، وإلى أي حد تختلف، وما إذا كانت اختلافاتها تتناقض أو تتلاقى بشكل عام علينا أولا أن نسعى إلى تصنيفها، وهنا لا بد من أخذ ثقافات الشعوب بعين اعتبار حيث نجد أنفسنا أمام حيز من المجتمعات، بعضها بعيد عن البعض، وبعضها قريب من بعض، كما لا بد تتبع أشكال الحياة الاجتماعية التي تنوعت عبر الأزمان.

لقد تنوعت الأساطير واختلفت عند الأدباء والعلماء، وذلك نظرا لصعوبة تحديد أصلها، باعتبارها تتميز بالغموض، وتعتبر محاولة الباحثة" نبيلة إبراهيم" في تصنيف أنواع الأساطير هي الأنجح، اعتمدت على مقاييس عديدة ومختلفة، ويمكن القول أن محاولتها في كونها مزجت في تصنيفها بين الموضوع من جهة والفكر البشري من جهة أخرى، بالنسبة لهذه الباحثة فإن" الأساطير التي اهتمت بالأجواء السماوية والظواهر الكونية، كانت أسبق من الأساطير التي اهتمت بالعالم الأرضي وعالم الإنسان، ولذا فإن تصنيفها لأنواع الأساطير وإن أخضعته لمقاس الموضوع إلا أنها راعت فيه مسألة التطور، أما التصنيف الأسطورة من منظور هذه الباحثة فهو كالآتي:

[1]أنظر، غزوان أحمد علي، الأسطورة بين الدين والفكر والشعر المعاصر، ص 1-2.

أولا ـ الأسطورة الطقوسية:

اعتبرها البعض بأنها الجانب الكلامي لطقوس الأفعال التي من شأنها أن تحفظ السلام، والرخاء والطمأنينة للمجتمعات[1]، إذا كانت الطقوس تختص بالأفعال التي من شأنها أن تحفظ للمجتمع رخاءه ضد القوى المتعددة التي تحيط بالإنسان فإن الأسطورة الطقوسية تمثل الجانب الكلامي لهذه الطقوس ولم تكف الأسطورة تحكى من اجل التسلية ولكنها كانت أقوالا تمتلك قوى سحرية مثل أسطورة إيزيس وأوزوريس المصرية.

إذ تعتبر أشهر أساطير مصر القديمة فإنها وإن أصبحت الآن تروى في إطار قصصي، إلا أنها كانت في وقت من الأوقات عقيدة راسخة لها شعائر وطقوس ترتبط بالحياة والموت ارتباطها بالغرض والحصاد وهي تفسر كثيرا من الظواهر الكونية والطبيعية والإنسانية.

وفي تعريف آخر لها فإن هذه الأسطورة لم تكن قصة تروى فحسب بل كانت تتضمن طقوسا تمثل وتعكس الحالة الاجتماعية في مصرها، وقد ذهب " فريزر" إلى أن " الأسطورة قد استمدت من الطقوس، فبعد مرور زمن طويل على ممارسة طقس معين وفقدان الاتصال مع الأجيال التي أسسته يبدو الطقس خاليا من المعنى ومن السبب والغاية، وتخلق الحاجة لإعطاء تفسير وتبرير" لكن بعض الأساطير وصلت إلينا مع طقوسها، وما كان يواكبها من الاحتفالات" كأسطورة تموز" أو " أودنيس" وهو أحد الآلهة الذي رمزوا إلى القوى المنتجة في الطبيعة.

وقد عد روح الحقل ويوائم موته وبعثه تبدل الفصول أو تواري الحياة النباتية في الشتاء[2] وظهورها في الربيع، فكان الناس يحتفلون به كل عام ونديونه وينحتون عليه، وكانوا يحملون تماثيله في شكل جثمان ميت ويشيعونه للدفن ثم يلقون به في البحر أو النهر، وفي بعض الأماكن يحتفلون بعثه في اليوم التالي فبكاء الناس على " أدوينس" هو بكاؤهم على ذهاب الحضرية وحلول القحط والجذب، واحتفالهم ببعثه وحياته من جديد هو صورة لأملهم بعودة الخصب إلى أرضهم.

إذ انها تعبر عن قيم مجتمعية ورغبات غريزية وانفعالات نفسية أي أنها تعبر عن ثقافة هذا المجتمع الذي يمارسها ويقدسها في ذات الوقت.

ثانيا ـ الأسطورة التكوينية:

[1] ينظر، ميخائيل مسعود، الأساطير والمعتقدات العربية قبل الإسلام، ص 28.
[2] نبيلة إبراهيم، أشكال التعبير في الأدب الشعبي. ص25.

نقصد بها " عملية خلق الكون وطريقة صنعه، وتكوينه بصورة تدريجية[1]" حيث تختلف بداية تفسير الكون من جهة المتطور التاريخي، ولقد تم التنازع بين حقلين، حقل يقبل السؤال، وحقل يعتبر مجالا للوهم، بحيث وضع ذلك في محاولته الكشف عن أجوبة الإنسان حول التكوين والنشأة، مما أيقظ عدة تساؤلات واستفسارات حول سر الكون وأصل هذه الحياة، ولقد تداخلت بعض العلوم الفيزيائية والفلسفية في محاولته الكشف عن هذه الظواهر التكوينية، حيث اعتمدوا في ذلك على التعليل، بجعلها تنتسب إلى قوى غير ظاهرة، مثل أصل الماء والنار وغيرها من الظواهر التكوينية التي أدهشت الإنسان، ودفعته إلى التساؤل[2].

وفي مفهوم آخر تعتبر الأسطورة التكوينية في أن مهمتها تصوير كيفية خلق الكون ولتوضيح ذلك تعرض علينا الأسطورة زواج الأرض من السماء وإنجابها للشمس والقمر والنجوم.

تبحث هذه الأسطورة في أكثر المسائل غموضا وصعوبة، وإذا أنها تنظر في الكون وحدوثه، وتحاول توضيح بدء الحياة وما مرت به من مراحل حتى اكتملت في النبات والحيوان والإنسان ونعطي مثالا على ذلك أسطورة التكوين السومرية، وأيضا لدينا أسطورة " أزورس المصرية" مثالا لهذا النوع الذي كان الكثير من عناصرها تتمثل في الطقوس المصرية، وتعد أساطير الجذب والنماء نقلة جديدة في الأساطير التكوينية[3]، ويمكن القول أنها تكونت في مراحلها الأولى عن طريق التأمل، وهي لا تنتهي إلى طاقة الاهتمام الروحي الشعبي[4].

ثالثا ـ الأسطورة التعليلة:

وهي وليدة التأمل الموضوعي في ظاهرة غريبة وتحتاج إلى تعليل وقد عرفت بعد أن ظهرت فكرة وجود كائنات روحية خفية في مقابل ما هو كائن من الظواهر الطبيعية كالرعد وانفجار البركان وانشقاق الأرض عن الزرع[5].

كما يمكن تعريفها بأنها تلك الأسطورة التي تحاول أن "تفسر الظواهر الكونية حولها وقبلها فنسبها إلى قوى غير ظاهرة في حكي روائي يربط بين الفكرة والحركة ويجسد الظواهر لتصبح كائنات متحركة تؤثر وتتأثر بغيرها فما لا شك فيه أن كتب التاريخ وكتب الأدب العربي وخاصة كتب التفسير قد حفلت بالكثير مما أصداء لهذه الأساطير ومن ذلك مثلا: أسطورة خلق الكون، وما أصل الماء والهواء والطين والنار، والمطر والنور، وكيف

---

[1] ينظر، ميخائيل مسعود، الأساطير والمعتقدات العربية قبل الإسلام، ص 28.
[2] ينظر، شعرية الكنعنة (تجليات الأسطورة في شعر عز الدين المناصرة) دار مجدلاوي، ط1، دم، 2009، ص 68، 69.
[3] نبيلة إبراهيم، أشكال التعبير في الأدب الشعبي، ص 25.
[4] المرجع نفسه، ص نفسها
[5] رشييد بن مالك، بحوث سيميائية، مجلة علمييةمحمكة، مخبر عادات وأشكال التعبير الشعبي بالجزائر، جامعة أبو بكر بلقايد، تلمسان، العددان الخامس والسادس ماي 2009، ص 374.

تتولد بعضها عن بعض ولم يتداخل تأثير بعضها في البعض الآخر، ومنها كذلك حكايات السحر وأساطير الكاهنة، وأحاديث الروحانيات فيما بعد وإن إمكانيات أصحاب الاتصال الروحي في التأثير على المكان بل وعلى الزمان[1].

تعتبر كذلك طريقة قام بها الإنسان البدائي بتعليل ظاهرة ما، تستدعي وتتطلب نظرة اتجاه هذه الظاهرة، رغم أنه لم يجد لها تفسيرا، وبواسطتها استطاع أن يخلق حكاية أسطورية تقوم بشرح سر وجود هذه الظاهرة، والكشف عن وجودها الداخلي[2]، فهي لم تجد منهجا أو سبيلا إلى الوجود إلا بعد ظهور كائنات روحية، تقابل ما هو موجود في الظاهر، ولقد ساعد على ذلك طائفة من رجال الدين، حيث استطاعت أن توهم الجماعة أنها على تواصل دائم مع هذه الكائنات الروحية، مما استدعى إلى ظهور الرغبة في المعرفة والسر، ولقد كان من الضروري لهذه الجماعة أن تفرق بين الكائنات الروحية والطبيعية[3].

فالأسطورة التعليلية هي محاولة الإنسان الأول اصطناع أسلوب منطقي في تفسير الأشياء في عصر غاب عنه عنصر الأسلوب العلمي لفهم ما مثل ظاهرة ظهور الشمس في النهار بدون نجوم وظهور القمر في الليل ومعه النجوم وهي ظاهرة فلكية فسرت فيما بعد على نحو علمي فالإنسان القديم لم يكن وصل بعد إلى مرحلة فكرية تتيح له فرصة استخدام الوسائل العلمية للوصول إلى أصل الأشياء مثل توزيع الكائنات بين الأرض والبحر والفضاء.

في تعريف لآخر لها لما كان الإنسان البدائي يمتاز بالنزعة الإحيائية، فقد علل الكثير من الظواهر انطلاقا من مذهبه هذا، العرب الذين رأوا في الكواكب أزواجا عللوا مواقع بعضها فقالوا أن سُهَيلاً والشعري كانا زوجين، فانحدر" سهيل" فصار يمانيا، فاتبعه " الشعرى" العبور، فعبرت المجرة فسميت" العبور" وأقامت " الغميضاء" فبكت لفق" سهيل" حتى غمضت عيناها فسميت غمضياء لأنها أخفى من الأخرى.

وقد تكون الأسطورة التعليلية نمطا من أنماط الأساطير الكونية إذ حاولت أن تعلل الظاهرة كونية، وقد تكون نمطا قصصيا آخر، فالإنسان لا يكف عن التعليل والتفسير طوال مدة بقائه على سطح الأرض، ففسر سبب أن الطوفان أغرق الأرض، فما بقي تحت الماء سوى الأسماك والزواحف، وما طفى فوق الماء يكمن في الطيور والإنسان[4]، دون أن نجد تفسيرا مباشرات فيخلق لها حكاية أسطورية نشرح سر وجود هذا المظهر المثير[5].

رابعا ـ الرمزية :

[1] فاروق خورشيد، أديب الأسطورة عند العرب، ص 6
[2] ينظر، ميخائيل مسعود، الأساطير والمعتقدات العربية قبل الإسلام، ص 28.
[3] ينظر، كمال زكي، الأساطير(دم)، (دس)، ص 10-11.
[4] نبيلة إبراهيم، أشكال التعبير في الأدب الشعبي، ص 27.
[5] رابح العربي، أنواع النثر الشعبي، منشورات جامعة باجي مختار، عنابة، ص 28.

هي ما تجاوزت مرحلة السؤال والجواب، وبالرغم من كل هذا إلى أن أغلب أساطير الكون تنتمي إلى هذا النوع، لاحتوائها على نوع خارق من خرافات الشعوب التي تسعى إلى تسليط الضوء على الرموز والمجازات والأمثال التي يحتضنها نوع من الإبهام والغموض، مثل تلك التي تحتل جزءا من قصص الزنوج والتي تفسر عناية لها، أو قولا شائعا، كما أنها تعتمد على مجموعة من الرموز من أجل التفسير[1].

وهي تعبر عن مرحلة أكثر تعقيدا من المراحل التي قطعها أساطير الطقوس والتعليل، أو لعلها أكثر قربا من الأسطورة التعليلية بوجه عام لأنها تعبر بطريقة مجازية عن فكرة دينية أو كونية.

تشمل بعض الأساطير على بنية رمزية أو بالأحرى يمكن قراءته قراءة رمزية فالأسطورة منطقها الرمزي الذي تتعامل به مع معطيات الفكر،، غنها مثل الشعر نوع من الحقيقة أو معادل للحقيقة وليس مناقشا للحقيقة العلمية أو التاريخية بل رافدا لها، ومن أمثلة الأسطورة الرمزية نجد أسطورة" قدموس وأوربا".

الأساطير جميعا تتحدث من خلال الرمز كما سبق وذكرنا بوصفة حقيقية، لكن الإنسان عندما نهى وعيه بنفسه بعد ذلك أصبح ينظر إلى الشخوص الأسطورية نظرة يساورها الشك وقد كان هذا معناه انه بدأ يوظف تلك الشخوص بدرجة ما على نحو رمزي[2]، فهذه الرموز لها علاقة وطيدة بالشخصيات الإنسانية وحياته وعلاقته بالكون وفهم طريقة تفكيره ومن ذلك أسطورة منيرفا آلهة الحكمة ابنة الإله جوبيترا التي كانت المهيمنة على الفنون الجمالية، فقد عبرت الأسطورة عن اعتداء الإنسان بنفسه وكيف أن الإنسان لا يتنازل عن حقه، وينتصر في الأخير، ويثبت وجوده، كما أن الأسطورة الرمزية

تتضمن رموزا تشير إلى معان لها صلة بالحياة الإنسانية يمكن شرحها ادبيا نفسيا لما فيها من أفكار إنسانية[3]، فالأساطير الرمزية تتطلب التفسير وهذه الأساطير قد ـألفت في مرحلة فكرية أكثر نضجا ورقيا.

ويعرفها آخرون على أن الإنسان القديم كان ينظر إلى الرمز في تلك الأساطير السالفة بوصفة حقيقية، ولكن مع التطور الذي نقدمه الإنسان ومن نمو وعيه لم يعد يسلم بنظرة لها بل اعتمد فيها على نحو رمزي، ومعظمهم الأساطير الإغريقية المتأخرة تمثل هذا الصراع.

3 ـ الأسطورة والرواية

[1] ينظر، كمال أحمد زكي، الأساطير، ص 11-12.
[2] رابح العربي، أنواع النثر الشعبي، ص 28.
[3] رابح العوني، أنواع النثر الشعبي، ص 21.

أ- الأسطورة والرواية العربية:

تشغل الرواية العربية اليوم في الراهن الثقافي والفكري حيزا مهما، تتقاطع في جملته من القضايا المتباينة ظلت ملازمة له رغم التطور الذي عرفه هذا الجنس الأدبي الذي " لم يحقق استقلالية ويتميز بوجوده وبشكله الخاص في الأدبين الغربي والعربي إلا في العصر الحديث"[1].

ومما تجدر الإشارة إليه أن مصطلح الرواية ارتبط " بظهور وسيطرة الطبقة الوسطى في المجتمع الأوروبي في القرن الثامن عشر، فعلت هذه الطلقة محل الإقطاع الذي كان أفراده يتميزون بالمحافظة والميثالية، وعلى العكس من ذلك فقد اهتمت الطبقة البرجوازية بالواقع والمغامرات الفردية، وصور الأدب البرجوازي هذه الأمور المستحدثة[2]، عن طريق الرواية التي عبرت عن تناقضات المجتمع البرجوازي النوعية أصدق تصوير وأكثر نموذجية.

ضمن هذا الإطار عبرت الرواية بصورة صادقة وواقعية عن حقيقة المجتمع البرجوازي، فكانت في أدائها لهذه المهمة شبيهة بالأسطورة باعتبارها" تقول الحقيقة، هذا هو تعريفها على الأقل بالنسبة للمجتمع الذي يتلفظ بها دون إيهام أو تحفظ، هكذا تعيش الطائفة التي تناقلتها وترويها إنها تحياها[3].

إذن، تلتقي الرواية مع الأسطورة في مهمة التعبير عن المجتمع الذي وجدت ونشأت فيه، وفي محاولة الإجابة عن تساؤلات عديدة، كيف؟ ولماذا؟ ومتى؟ وهذا بغية إيجاد تبرير لكل ما يحدث من حوله.

ظهرت الرواية بصفتها وليدة البرجوازية، والبديل عن الملحمة ولذلك اعتبرها هيجل" ملحمة العصر الحديث" حين نشأت من الملحمة كما نشأ النثر

من الشعر والسبب في ذلك أن الوعي الإنساني لم يكتمل بعد لذلك ظل ما هو قديم بشدة إليه، وهذا ما يفسر استمرار الأشكال الأدبية القديمة ردحا من الزمن[4].

وقد استفاد جورج لوكاتش (George Lukacs) من هذه الفكرة وقام بتفريعات في نظرية الرواية على ما جاء به هيجل، ليخرج بمقولته الشهيرة، ويطلق على الرواية" الملحمة

---

[1] جورج لوكاتش، الرواية، ترجمة: مرزاق بقطاش، الشركة الوطني للنشر، والتوزيع الجزائر، دط، دت، ص 45

[2] مفقودة صالح، المرأة في الرواية الجزائرية، دراسة جامعة محمد خيضر، بسكرة، الجزائر، ط1، 2003، ص 37.

[3] يسير شارتيه، مدخل إلى نظرية الرواية، ترجمة عبد الكبير الشرقاوي، دار توبقال للنشر، الدار البيضاء، المغرب، ط1، 2000، ص 32

[4] ينظر: حنا عبود، من تاريخ الرواية دراسات، منشورات اتحاد الكتاب العربي، دمشق، دط، 2002، ص 11-12.

البرجوازية[1]" معبرا أن التصور القديم تجسد في الملحمة، أصبح يقابله التصور الحديث مجسدا في الرواية باعتبارها شكل فني بديل للملحمة وهذا في إطار التطور البرجوازي.

ونستطيع الآن أن نفهم أن موضوع الملحمة هو المجتمع أما موضوع الرواية هو الفرد الباحث عن معرفة نفسه وإثبات ذاته وقدراته من خلال مغامرة صعبة وعسيرة[2]، أنها" أساسا معينة بوصف مسار الفرد في بحثه عن مجموع كلي ما، عن هوية يحمل صورتها في أعماق نفسه"[3].

وبهذا أصبحت الرواية العربية اليوم، تعبر عن واقع الفرد في عالم متعدد التناقضات، حيث باتت النفس البشرية فيه مشوهة وسط الحروب والصراعات، وفي ظل هذه الأوضاع التي صودر فيها كل ما هو إيجابي، مثلت الرواية أوضاعا اجتماعية، سياسية هذا من جهة، وقدمت وصفا للحياة النفسية للإنسان من جهة ثانية.

وهكذا تطورت الرواية لتكشف بطريقتها الخاصة عن مختلف جوانب الوجود عامة والإنسانية خاصة إذ" تساءلت مع معاصري سرفانتش عما في المغامرة وبدأت مع صموئيل ريتشارد سون في فحص ما يدور في الداخل، وفي الكشف عن الحياة السرية للمشاعر، واكتشفت مع بلزاك تجدر الإنسان في التاريخ، وسيرت مع فولبير أيضا كانت حتى ذالك الحين مجهولة هي أرض الحياة اليومية، وعكفت مع تولستوي على تدخل اللاعقلاني في القرارات وفي السلوك البشري، إنها تستقضي الزمن، اللحظة الماضية التي لا يمكن القبض عليها مع مارسيل بروست.

واللحظة الحاضرة التي لا يمكن القبض عليها مع جيمس جويس، وتستوجب مع توماس ماندور الأساطير التي تهدي وهي الآتية من أعماق الزمن (....) تصاحب الرواية الإنسان على الدوام وبإخلاص منذ الأزمنة الحديثة[4].

وعلى أية حال، فإن النزوع إلى الأسطورة لم يقتصر على الشعراء وكتاب المسرح فقط وإنما تعداه إلى الروائيين إذ استلهموا الأساطير في أعمالهم محاولة منهم للوقوف عند خصائصها من جهة، وبغية الاستفادة من القيمة الرمزية والجمالية التي تختزنها للتعبير عن مختلف صراعات واقعية المعاش من جهة ثانية.

وتعود بدايات النزوع الأسطوري في الرواية العربية إلى " نهاية عقد الأربعينيات من القرن العشرين، أي إلى المرحلة التي بدأت تتأسس معها ملامح الجنس الروائي العربي

---

[1] جوروج لوكتاتش، الرواية كملحمة بورجوازية ، ترجمة: جورج طرابيشي، دار الطليعة للطباعة والنشر، بيروت، ط1، 1979، ص 28.

[2] مفقودة صالح، المرأة في الرواية الجزائرية، ص 28

[3] ميشيل زيرافا، الأسطورة والرواية، ترجمة: صبحي جديد، دار الحوار للنشر والتوزيع، سوريا، ط1، 1985م، ص 05

[4] ميلان كونديرا، فن الرواية، ترجمة: بدر الدين عردوكي، إفريقيا الشرق، المغرب، ط1، 2001، ص 15.

بمعناه الغني، والتي يمكن عدها بداية لمنعطف روائي عربي جديد كان يستمد أهميته ومكانته من شرطة التاريخي الذي بدأ آرا بالحديث عن الذات القومية المضيعة من جهة، وعن الانتماء إلى العصر من جهة ثانية[1].

وعليه يمكن القول، إن أسباب عودة الروائيين العرب الأسطورة" لا يختلف كثيرا عن التي قادت الشعراء والمسرحيين العرب إليها، فالكل سعى لتحقيق هدفين أساسيين، أولهما: هدف سياسي، وهو اتخاذ الأسطورة قناعا وقائيا

يحميه من عين الرقابة ويدع مسافة بينه وبين السلطة، وثانيها: سبا فنيا،وهو تحيري النص الأدبي من أسوار البلاغة القديمة التي تقوم على السجع والزخرف اللفظي، وانطلاقا من هذه الأهداف والدوافع أنتجت نصوص روائية كثيرة تقوم إما على أسطورة واحدة أو على مجموعة من الأساطير[2].ويرى الدكتور" نضال صالح" أن هذا النزوع كان استجابة لضرورة تاريخية ثقافية، فنية استدعتها وهيأت لها، ثم أشاعتها فيما بعد مجموعة من المؤثرات التي كانت تعمم في الواقع العربي من النهايات القرن التاسع عشر، والتي ما تزال تمارس تأثيرها الواضح في الراهن منه أيضا، وخلص إلى تحديد ثلاث مرجعات لهذا النزوع، مرجعية ثقافية سواء كانت غربية أو عربية ومرجعية سياسية لتتحول الأسطورة إلى قناع أراد من خلاله الأدباء غسل الواقع وتطهير الأوضاع، ومرجعية اجتماعية تساهم في تشكيل رؤية المبدع لما حوله[3].

شكلت هذه المرجعيات نسقا بنائيا واحدا ساعد على نشوء نوع خاص من الرواية العربية، اتخذت الأسطورة أساسا في بناءها عرفت باسم الرواية الأسطورية وهي: الرواية التي يعتمد الكاتب في بنائها على إحدى الأساطير التي تتناقلها الأجيال على مدى سنوات طويلة، وأصبحت بذلك جزءا من التراث الفكري للشعب أو الأمة بأسرها[4].

ومن الروائيين الذين استلهموا الأسطورة في أعمالهم نجد" الروائي فاضل الربيعي" في رواية" محرمات الصمت" التي يتضافر فيها الواقعي بالأسطوري بحيث وظف الروائي أسطورة عشتار وتموز الرافدية، في محاولة لتعريف السلطات

المستبدة وهجائها دونما مواجهة مباشرة معها، ومن الروائيين العرب اللذين وظفوا الأسطورة الكاتب الفلسطيني" جبرا إبراهيم جبرا" وهذا في روايته البحث عن وليد مسعود" في حين مزج فاضل العزاوي في تجربته الروائية بين الواقعية وما هو ضد واقعي في

---

[1] نضال صالح، النزوع الأسطوري في الرواية العربية المعاصرة، ص31

[2] مديحة عتيق، توظيف الأسطورة في رواية الحبر، لإبراهيم الكوفي، موقع http//www.pohmon.netالساعة: 09:10 اليوم 2011/07/04

[3] ينظر: نضال صالح، النزوع الأسطوري في الرواية العربية المعاصرة، ص 63- 121.

[4] شفيع السيد، اتجاهات الرواية العربية في مصر منذ الحرب العالمية الثانية إلى سنة 1967 دار الفكر العربي، القاهرة، دط، 1996، ص55

محاولته للتعبير عن التاريخ العراقي، حيث وظف ما هو أسطوري في رواية" آخر الملائكة" وكان هدفه تعميق الرؤية الواقعية.

ومن الأعمال الإبداعية الجزائرية رواية" الحوات والقصر" للروائي الطاهر وطار التي تمثل نموذجا سرديا جسد مسعى كاتبها للتعبير عن الأوضاع التي عرفتها الجزائر، عن طريق توظيف الكثير من الرموز الأسطورية، حيث اتخذ الطاهر وطار من الأسطورة أداة لتشريح الواقع والكشف عن تناقضاته بأبعادها المختلفة سياسة كانت، أو ثقافية أو اجتماعية.

إن عودة الأدباء إلى استطاق الفكر الأسطوري وتوظيفه بعد ظاهرة فنية بارزة في الأدب المعاصر، ووسيلة هامة حافت على تواصل الإنسان في مراحل تفكيره وتعليله للوجود الأول، وبين الإنسان المعاصر المزود بمرجعيات ثقافية، اجتماعية سياسية، ساعدت على بلورة تجربته الإنسانية في صورة جديدة تنطلق من الماضي لتتزود بمعطيات الحاضر، للوصول إلى مؤشرات المستقبل.

ونظرا للأهمية التي حظيت بها الأسطورة فقد أولى بعض النقاد عناية خاصة بها، الأمر الذي ساعد على ظهور نوع خاص من النقد غني بدراستها أطلق عليه، النقد الأسطوري[1]" فما مفهوم هذا المصطلح، وكيف كانت بدايته؟ وما أسسه ومنطلقاته؟ وغيرها من الأسئلة التي تحيط بهذا المجال الجدير بالدراسة والمتابعة.

ب- الرواية في الأسطورة الجزائرية:

تسعى الرواية المعاصرة أن تحدد لنفسها أدواتها التعبيرية بين الحين والأخر لتحافظ على أدائها الأدبي وشبابها الفني وذلك من خلال تقنيات مستوردة ومقومات ذاتية محاولة أن تواكب منجزات الآخر الجمالية المضمونية دون أن تفقد هويتها، [2]ويرجع ظهور الأسطورة في الرواية إلى نهاية عقد الأربعينيات من القرن العشرين،[3] وقد وظفت الرواية الجزائرية الأسطورة من خلال تعاملها مع التراث الشعبي ومنهم المكتوب لفتح أفاقا جديدة على التاريخ والمجتمع، ومن أمثلة الأساطير نجد" أسطورة النفس والعشق" التي سجلها أحد المثقفين الأمازيغ الجزائريين في العهد الروماني باللاتينية في كتابه المشهور" الحمار الذهبي" وقد أشار إلى ذلك المستشرق (إيميل دير منغم) في مقاله المرسوم بأسطورة النفس في الفلكلور الشمال الإفريقي حيث يقول عن هذه الدعوة الأسطورة المسجلة بعناية في كتاب" الحمار الذهبي" لم يؤلف (يقصد أبولي دوما الحمار) حكاية النفس، لكنه قد يكون استمدها من الموروث الشعبي الإفريقي.

---

[1] وليد بوعيلة، شعرية الكنعنة (تجليات الأسطورة في شعر عز الدين المناصرة) ص 51

[2] نضال صالح، النزوع الأسطوري في الرواية العربية، ط1، اتحاد الكتاب العرب، دمشق، 2001، ص 18.

[3] المرجع نفسه، ص 29

إلى جانب ذلك نجد الروايات عالجها" در منحم" في الأربعينيات من القرن الماضي، سجل عدد من طلبة القسم الماجستير لجامعة تيزي وزو مجموعة من الروايات تناول نفس الغرض[1].

فالأسطورة في الجزائر تعبر عن خصب الموروث الشعبي الجزائري في هذه الناحية وهو قد لا يتوافر لموروث آخر، ومن الأساطير الشائعة في الجزائر الاعتقاد بوجود إمرآة معلقة من شعرها أو من أشفر عينيها هناك لأنها ارتكبت معصية استحقت عليها ذلك العقوبة.

ولا يزال الديني والأسطوري يتجلى في الروايات الجزائرية، ولا سيما ما ينتشر بين الأطفال في القرى والأرياف، كذلك العادة القديمة عند تبديل أسنانهم، حيث يعتمدون إلى إلقاءها في الهواء باتجاه القمر، ثم يقولون في ما يشبه الدعاء" أعطيتك أسنان الحمار وأعطيني أسنان الغزال"[2] من معظم الروائيين الجزائريين استحضر عبد المالك مرتاض أساطير ألف ليلة وليلة في روايته الخنازير، من خلال الإشارة إلى الخديعة التي راح ضحيتها شهريار مما جعل بطل الرواية لا ينحرج من ذكر ذلك، خاصة انه يكن للعنصر الأنثوي حقدا دفينا بسبب هجرة وعزوفه عن التعلق به فيقول:ط شهريار بحكايات الأساطير"[3] لم يكن توظيف مرتاض لهذه الشخصية- شخصية شهرزاد- إلا ليحلينا ترميزا إلى تمتع المرأة بالفطنة والذكاء الذين بهما فقط نستطيع أن تنقذ الأرواح، فينبغي أن نفهمها إذا كنا نتوخى فهم معنى الأساطير والأحلام[4].

كذلك في روايته:

- صوت الكهف نجدها تحفل بالجو الأسطوري الذي تختزنه الذاكرة الجماعية المستمدة من التراث الديني نستمده الرواية بطاقة للأحداث قصصها الأسطورية"[5]
- تعتبر رواية" رمل المائية" فاجعة اليلة السابعة بعد الألف" لراسيني الاعرج" عن تجليات التوظيف الأسطوري حيث يشفر الجو الأسطوري في هذه الرواية حيزا هاما وقد جعلها واسيني الأعرج حكاية تتقاطع مع البنية الحكائية لكتاب ألف ليلة وليلة الذي يعد مصدرا مليئا بالأساطير والحكايات الأسطورية والخرافية الخارقة المتسمة بصبغة أدبية فذة، بعباراته البسيطة لكن ذلك التركيب البسيط هو الذي جعلها تتصف بميزة القدرة على احتواء حكايات كثيرة فيها.
- وقد يرد كلمة واحدة يرد في جملة كألف عام من الحنين، عند بوجدرة في رواية" ألف عام من الحنين" والذي تتقاطع مع ألف ليلة وليلة" التي تأثرت بها أشهر الروائيين

---

[1] عبد الحميد، بواريو، الأدب الشعبي الجزائري، ص 148-149

[2] محمد لعور، الجذور الأسطورية الدينية للخرافة الجزائرية، مجلة أمال، العدد 02، الجزائر، 2008، ص 40-41.

[3] عبد المالك مرتاض، الخنازير، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1985، ص 64.

[4] إربك قروم، اللغة المنسية، ترجمة: حسن قبسي، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، ط1، 1995، ص 12-13

[5] سعيد سلام، التناص التراثي للرواية الجزائرية نموذجا، ص281

وقاضي العالم وفق شهاداتهم الإبداعية"[1]، الكتاب الذي يعج بالأساطير والخرافات والأعاجيب، كتاب هو " سلسلة من الحكايات الأسطورية، أو هي ملحمة أسطورية.

تلجأ الرواية إلى استثمار كثير من القيمات- الموضوعات- تستفيها من ألف ليلة وليلة التي تحمل ميزة أسطورية أو خرافية خارقة للعادة والمألوف، ومن تلك السيمات الأسطورية ما تروده الرواية إذ تقول:" واصطحبوا معهم قصور بندار وحوريات الفردوس وعلاء الدين وفانوسه السحري وملاكي البصرة، وعوالم الجن، والخواتم السحرية، والعبيد السود وقصور الجليد، وأقزام هارون الرشيد، وأجمل الشقيقات السبع في الدنيا، وخصبان الكريم، واللصوص الأربعين[2].

فهذه اللغة الأسطورية محملة بتلك الألقاب والنعوت الأسطورية التي تصبح على الأشخاص الأسطر بين خصائصهم وقدراتهم، فأهم ما يميز اللغة الأسطورية" أنها على مستوى عال من الرموز والإيحاءات التي تتولد من خلال المعاني الأسطورية كما أنها تعتمد في الغالب على التشخيص والتجسيد وتراسل مدركات الحواس"[3]

كذلك نجد ملامح الأسطورة في الرواية نجمة لكاتب ياسين، إذ تأخذنا هذه الرواية إلى عالم مدهش غرائبي حتى تكاد تتمظهر الأسطورة في كل مشهد من مشاهد الرواية، بل حتى تصبح الرواية في مجملها أسطورة ويظهر التوظيف الأسطوري في: أسطورة قبلوت، الميث القبلي حيث تشكلت عن طريق متغيرات عديدة تزدحم فيها التفاصيل التي تشكل فيها الميثات المختلفة نقطة الانطلاق والمحفز، وتصبح حكاية قبلية قبلوت وعاء الإبداع كاتب وفضاء عام لرواية أجمع.

ونجد فيها كذلك أسطره الشخصية" نجمة" التي تعد عنصرا مهما في بناء الرواية إذ تعتبر الكاهنة ويسرى في عروقها دم بني هلال، رمز العزة والأرض الغاضبة التي يموت منها ولها شباب الجزائر الحانقة، إذ أنها هوس العامقين التي يبرر منهم أربعة جمع بينهم النسب والوله، مراد، الأخضر، رشيد ومصطفى يبحثون عنها وكأنهم يبحثون عن الذات ونجمة فتاة مثالية كاملة الملامح والأبعاد، هذه هي نجمة... التي تغرق الأيدي حين تظن أنها قد أمسكت بها.. إنك" تراها حينا واضحة جلية؟،؟ وإذا بها تبتعد عن ناضريك، حتى لتصعب عليك رؤيتها... أنها نجمة... الصعبة المنال.. انها الغولة ذات الدم القاتم... نجمة التي يتنازع

---

[1] عبد الرحمن يونس، ألف ليلة وليلة في أدب الأمم، مجلة الكويت ، ع 272 الكويت 2006، ص 50-51

[2] شكري عزيز ماضي، انعكاس هزيمة حريزان على الرواية العربية، المؤسسة العربية للدراسات النشر، ط1، بيروت، 1978، ص 156.

[3] رشيد بوجدرة، ألف عام من الحنين، ترجمة مرزاق بقطاش المؤسسة الوطنية للكتاب، ط2، الجزائر، ص 152.

الرجال أبوتها... لكن أمها الفرنسية قد حكمت عليها بأن تكون كالزهرة السامة التي لا يمكن استنشاق عبيرها، لقد لوثتها أمها من أعماق جذورها"[1].

وتعد ملامح الأسطورية للشخصيات الأدبية في الرواية موضوعا شيقا بالنسبة للكاتب، وتتبدى هذه الملامح في شخصية نجمة متعددة فتارة نوصف بسندريلا" نجمة الناردة، انها تسبح وحيدة تحلم أو تقرأ في الزوايا المظلمة، تلك" السندريون" ذات الخف المطرز بخيط من الحديد، إن نظراتها تغتني بمعان خفية [2]" وفي لمحة أسطورية أخرى تشبه نجمة بالغولة أو السعلوق ذلك الكائن الأسطوري التي تحفظه الذاكرة الشعبية بأدوار الشريرة وأفعاله الدموية، إذ أصبحت نجمة شخصية خارقة لا يتحدد وجودها إلا في التراث الشعبي، تلك الغولة التي تمثل الشر المطلق.

لقد استطاع كاتب ياسين أن يبلغ مستويات كبيرة في مجال استعمال الأسطورة في روايته" نجمة" متجاوزا بذلك المستوى التقليدي في الكتابة، بحيث لم يمنع أن تعيش الأسطورة في عصر العقل، فالقارئ يستمتع أيما استمتاع حينما يلمس الموضوعات الأسطورية ومحاولة ربطها بالراهن.

أو الواقع الاجتماعي الذي عاشه الأديب وصوره" [3]ثم إن المقارنة البسيطة أحيانا بين الشخصيات وأحداث الأسطورة أو الخرافة القديمة وبين نص إبداعي تجعلنا نقتنع أن الإبداع الذي استقبل الملامح الأسطورية يكون أكثر جمالا، وإبداعا وإثارة في ذهن المتلقي، وقد تفطن كاتب ياسين لذلك، وطبقه بجمالية وفنية مطلقة.

وتعد رواية جازية والدراويش لعبد الحميد بن هدوقة من أبرز النماذج واشهرها في توظيف الأسطورة الهلالية في الأعمال الرائية، وهي عبارة عن عمل فني جريء يجمع بين سمات الرواية السياسية المعاصرة والأسطورة الشعبية القديمة، بين الأسطورة والواقع، وتتلبس الأسطورة في الرواية من بدايتها إلى نهايتها حتى تكاد الرواية نفسها تصير أسطورة جديدة، حيث تمتلك هذه الروائية كل مواصفات الحكاية الأسطورية المصاغة في شكل روائي، ذلك بتركيزها على " الجازية" تلك الذات الاجتماعية وذلك الموضوع للرغبة حيث يتدخل الفردي والاجتماعي فالجازية في معاناتها اليومية تواجه قدرتها وتتحول إلى أسطورة جماعية، يتمثل بها المكان الذي تقطنه وكذا الناس الزمن الذي تتحرك طياته، كما تشير هذه الذات الأسطورة الفردية والجماعية إلى الأبعاد الثقافية للمجتمع المصغر النموذجي التي تعيش بين أحضانه وإلى الروابط التي تجمع بين أفراده على جميع المستويات، ويشمل ذلك

---

[1] كاتب ياسين، الجثة المطوقة، الأجداد يزادون ضراوة (مسرحيات) ترجمة: د/ ملكة أبيض منشورات الهيئة العامة السورية للكاتب، وزارة الثقافة- دمشق، ط2، 2011، مقدمة الترجمة، ص 12.

[2] كاتب ياسين، نجمة، ص 116

[3] د /نضال الصالح، النزوع الأسطوري في الرواية العربية المعاصرة، منشورات اتحاد الكتاب العرب، 2001، ص 55.

جميع التغييرات الثقافية من عادات وتقاليد وطقوس وسلوكيات تتحول بحكمها " الجازية" إلى مركز استقطاب لكل عناصر البنية الاجتماعية[1].

استطاع بن هدوقة في روايته هذه أن يستنطق التراث بسهولة كبيرة، حتى تكاد تأسرنا بما فيها من فسيفساء تناصيه، فقد قدت من نصوص مختلفة (دينية، تراثية، شعبية) وجاءت هذه النصوص على قدر من التكامل، ثم إن هذا النص يتضمن العديد من القضايا والموضوعات التي اهتمت بها الأنثوروبولوجيا، وهي الأساطير وعلاقات القرابة والزواج والطقوس الشعبية والثقافية القديمة[2].

- رواية الحوات والقصر للروائي الطاهر وطار، إذ تعد أحد أهم أعماله الروائية، ولا تتأتى أهميتها تلك من كونها نصا إبداعيا صغيرا على مستوى الحجم وكبيرا على مستوى الدلالة، أو الدلالات التي تزخر بها فحسب، بل كونها أيضا مفارقا لتجربة وطار الإبداعية بعامته، التي تنتمي في أغلبها الأهم إلى مفهوم الواقعية النقدية[3]، وتعكس الأسطورة في الرواية إدراك الطاهر وطار بأن الفكر الأسطوري رافق وجود الذات، وشكل البدايات الأولى لبنيتها الفكرية، يروى لنا وطار الأسطورة حيث يقال أن ابن علي الحوات رفع من القصر بقوة خارقة وصارت السمكة التي كانت بإحدى برك القصر حصانا بسبعة أجنحة امتطاه علي الحوات وطار به إلى وادي الأبكار... حملت هذه الرواية تقاطعات تراثية وأسطورية إذ تواجه القارئ مسألتين أساسيتين، تتجلى في طبيعة بالبناء الفني الذي استلهم أسلوب الحكاية الشعبية والثانية: تكمن في طبيعة المضمون الذي احتضن موضوع العلاقة بين السلطة والشعب، دون ارتباط بزمان أو مكان محدد، وعليه يمكن القول بأن وطار أبدى نزوعا نحو التراث لينهل منه نمطا إبداعيا متصلا بالطقوسية الأسطورية إذ تعتبر من أكثر الروايات تعلقا بالأسطورة، حيث تحيل مظاهر النزوع الأسطوري فيها إلى معطى واقعي خيالي في الوقت نفسه.

فهي بمعانيها الرامزة ودلالتها الأسطورية الراسخة تنتج في الوقت قطيعة مع الواقع، بل تفويضه لتنجز بدليه الأسطوري من مختلف التطورات الاجتماعية مضيفا عليها الجو الأسطوري، واستطاع الكاتب بقدراته الفنية الواضحة أن يصور هذا الواقع الذي يتطلب ملامح جديدة، وبالتالي الصراع الإنساني الأزلي بين الخير والشر، وبين العامة من الناس والسلطة، وتحديد دور المثقف ووجوب إمكانية تعامله بفاعلية مع المجتمع مع رفض عوامل القهر والتخلف، والتأكيد على التمسك بالمعتقدات الخرافية وبالموروثات الشعبية التي تعكس

---

[1] ينظر: داوود محمد، البعد الأنثروبولوجي للنص الأدبي، الموقع: www.crasc-dz.org/article

[2] عبد الحميد بن هدوقة، الجازية والدراويش، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1983، ص 65.

[3] الطاهر وطار، الحوات والقصر، موخم للنشر والتوزيع، 2004، ص 145.

المستوى الثقافي للإنسان الجزائري، كل ذلك يجسده وطار في " الحوات والقصر" التي تزخر بالتراث الأسطورة[1].

- رواية سيد المقام للروائي واسيني الأعرج، يعتبر هذا العمل بمثابة رواية الذاكرة والاسترجاع، فالقصة لا تتجاوز لحظة زمانية تصل بين مستشفى " مصطفى باشا" وجسر تمليلي" إلا أن تقنيات كتابة الرواية فرضت على الكاتب الإلتجاء إلى توسعات في القصة، فإنهالت الأحداث على الذاكرة، أحداث من الماضي وأخرى معيشة في الحاضر، كان للرواية استثمار كبير من الجانب الأسطوري إذ أن واسيني الأعرج أراد أن يتقصد بصبغ رواية بطابع الأساطير، فطرح من خلالها عدة قضايا هامة، كانت عنده أهم من فنيات الكتابة واستثمار التراث والأسطورة[2].

اختلفت استراتيجيات الروائيين في معالجة الأسطورة، فهناك من بعيد صياغتها حرفيا فيضل مشدودا إلى منطق الأسطورة، أسيرا في شرنقتها مما يجعله منتجا ومعيدا لمبخز حكائي جاهز يتعامل معه بشكل سكوتي مسبق.

وهناك من يوظف الأسطورة توظيفا جزائيا أو توظيفا ديناميكيا متسلحا بحيل لغوية وفنية متنوعة فلا يأسر نفسه في شباك الأسطورة القديمة بل يتيح- وفقا لها- أسطورته الأدبية، ويمكن القول أن توظيف الأسطورة في الرواية الجزائرية أتى أساسا ليجسد طبيعة تناقضات الحاضر وصراعاته، لكان لا يمكن أن تقفل أيضا عنصر الإقتحان بهذا التراث الأسطوري الخالد.

وبهذا تكون انفتحت عوالم الرواية الجزائرية على عوالم الأسطورة، فأعطتنا نصوصا غاية في الإبداع والجمال الفني بنشأة علاقته بين الأسطورة، كفضاء تعبيري والأدب كفضاء تعبيري آخر بينهما اختلاف، لكن بينهما تألف وأعطانا كذلك هذا المزيج في الوقت نفسه تعريفا ومفهوما جديد للأسطورة الأدبية في الجزائر، يختلف عن نظيره في المشرق في النقاط ويتفق معه في نقاط أخرى[3].

---

[1] الطاهر وطار، الحوات والقصر، ص 183.

[2] واسيني الأعرج، سيد المقام" مرثية الجمعة الحزينة" موفم للنشر والتوزيع 1997/ الطبعة 1، 1996، ص 228

[3] أحمد منور، الأدب الجزائري، باللسان الفرنسي، نشأته وتطوره وقضاياه، ديوان المطبوعات الجامعية، ط2، 2007، ص 44.

الفصل الثاني

صورة الأسطورة في رواية نجمة

المبحث الأول : رواية نجمة لكاتب ياسين

1- ملخص الرواية

2- الأمكنة و الشخصيات و الأحداث في رواية نجمة

المبحث الثاني : تجليات الأسطورة في رواية نجمة

1 ـ أسطورة قبلوت (الميث القبلي في الرواية)

2- أسطورة الابن الضال

3- أسطورة نجمة

4 ـ أسطورة سي مختار

رواية نجمة لكاتب ياسين

أولا- ملخص الرواية

تستهل أحداث الرواية في البداية بهروب الأخضر من السجن والتحاقه بشقيقه مراد و صديقيه رشيد و مصطفى ، بعدها تروي الرواية أيام الأصدقاء معا ، فتصور معاناتهم و أحلامهم المكسورة و ملاذهم الوحيد المتمثل في الخمر و الحشيش ، بعدها ينتقل الراوي إلى حدث العراك الذي دار بين الأخضر و رئيس العمال (السيد ارنست) و دخول الأخضر السجن للمرة الثانية ، فتصور الرواية سهرات الشبان معا و منها السهرة التي جمعت الشبان الثلاثة مصطفى ،ومراد ، ورشيد الذين التحق بهم في الغرفة ذو اللّحية و صديقه و غاب الأخضر عن اللّقاء لأنه كان في السجن ، فقصّ عليهم ذو اللّحية قصة صاحبه الذي عشق فتاة بكرا هي ابنة القاضي فكان عشقا من طرف واحد فقط، لكون الفتاة تتجاهله ولا تعيره أدنى اهتمام ، و اختتم قصته بتفاؤله بلقائها ،فاتضح أنه هو بطل القصة وليس صاحبه كما ادّعى .

بعد خروج الأخضر من السجن للمرة الثانية تنتقل الرواية إلى حدث مقتل السيد ريكارد على يد مراد و سماع الشبان الثلاثة (الأخضر ، مصطفى ورشيد) و قرارهم بسبب ذلك الهرب من القرية خوفا من انتقام السلطات لريكارد بعد سجن مراد ، ليفترق الأصدقاء و تنتقل الرواية إلى سرد مغامرات كل واحد منهم ليكتشف أسرار الماضي التي جمعت آباءهم.

أما بالنسبة للوجه الثاني للرواية ، فيحدث الالتقاء الذي تحكمه الصدف فيلتقي جيل الأبناء بجيل الآباء ، و خاصة مما يتعلق بماضي رشيد و نجمة ، فتبدأ رحلة كشف الحقيقة من قصة كبلوت التي وردت تفاصيلها على لسان سي مختار موجها حديثه إلى رشيد بعد أن انفرد به في الثلث الأخير من اللّيل و هما ببور سعيد على ظهر السفينة التي نقلتهما إلى مكة مع الحجيج فحكا سي مختار لرشيد قصة كبلوت و قبيلته : «جاءت قبيلة كبلوت من الشرق الأوسط ، وذهبت إلى اسبانيا و استقرت بالمغرب تحت قيادة كبلوت ليستقروا بعدها في الجزائر و بالضبط في قسنطينة جهة جبل الناظور ، فقد وقفوا ندّا في وجه الاستعمار و

استطاعوا الحفاظ على منطقتهم رغم الحملة الشرسة التي شنتها القوات الفرنسية على القبيلة و ذلك اثر اكتشاف جثتين لرجل فرنسي و زوجته في مسجد كبلوت و قد مزقتها طعنات عديدة بسكين ، فخرّب الناظور و دمّر وقتل أهله و أصدرت أحكاما بإعدام أعيان القبيلة الستة ليقتلوا في نفس اليوم ، الواحد تلو الآخر انتقاما للقتيلين . بعدها غادر من نجا من الشبان الناظور و استقروا في جهات أخرى من المنطقة و لم يبق إلاّ بعض الشيوخ و الأرامل والأطفال > و بهذا تكون الرواية قد قدمت نبذة عن تاريخ الحقبة التي جرت فيها الأحداث داخل الرواية و ذلك بذكر المراحل التي مرت بها القبيلة أثناء تواجدها في الجزائر (قسنطينة بالتحديد). و ذلك لعلاقة الشخصية الرئيسية بهذه القبيلة في الأحداث الموالية.

بعدها ، تنتقل الأحداث إلى لقاء مصطفى بنجمة داخل الترمواي الذي كان متجها إلى حي بو سيجور حيث تسكن نجمة، فتكتشف من خلال حوار داخلي لمصطفى ووقوعه المفاجئ في حب نجمة و هذه الصدفة التي جمعته بها .لينتقل سرد الأحداث إلى وصف دار نجمة بكل جوانبها (مكان تواجدها، إطلالاتها ، وصف الحي الذي تقع فيه ، وأنواع الأشجار و حالتها المريبة)، لينتهي هذا المقطع بحكم عام يصدره مصطفى حول الوطن في شكل حوار داخلي ، و هو حكم يعبر عن نظرة تشاؤمية إلى الوطن و إلى نسائه عموما ممثلات في نجمة .

و تتابع الأحداث إلى أن تقرر نجمة الهرب مع مراد ، فتطلب منه أن يصطحبها إلى العاصمة و العيش هناك ، لأن نجمة فتاة متحررة تكره القيود المفروضة عليها في عنابة ، لكن يكتشف الأمر من طرف لالة فاطمة والدة نجمة بالتبني وهمة مراد ،و تحول دون ذلك ، بعدها تحاول تزويجها غصبا عنها من كمال ، لتتذوق نجمة تعاسة لم تتخيلها يوما .

لتلج بعدها الرواية نقطة ، يسترجع فيها مراد طفولته ومنشأه و الظروف التي صقلت شخصيته بوفاة والده ولا يزال صغيرا و نشأته عند عمته التي كانت قاسية معه ، على شاكلة الأخضر الذي نشأ مع والدته زهرة و زوجها محمود و إخوته من أمه و المعاناة التي كان يتلقاها من طرف زوج أمه .

أما عن رشيد فتؤكد الرواية أنه كاد أن يضيع في تخميناته الخاصة بأبيه و خبايا مقتله داخل المغارة ، فقرر مصاحبة سي مختار الذي يكبره مرتين ، ليعرف سر مقتل والده و معرفة خبايا نسب نجمة الصحيح ، فإضافة إلى ذكر الرواية لمغادرة رشيد و سي محتار إلى مكة و الحوار الذي دار بينهما في نقطة سابقة من أحداث الرواية، إلاّ أنها عادت لتوضح علاقة رشيد بسي مختار، فأكد الرذاوي أنّ سي مختار كان سندا كبير لرشيد في

صغره بعد وفاة والده ، لذالك كان يحمل عاطفة خاصة نحو قاتل والده ممّا دفعه إلى عدم الانتقام لمقتل والده . وذلك ما عاتبه عليه أصحابه وعشيرته.

تنتقل بعدها مهمة سرد الأحداث من الرّاوي إلى رشيد فأثناء لقاء رشيد بمراد في عنابة و استقرارهما في غرفة واحدة إلى جانب مصطفى ، يصاب رشيد بوعكة صحية ، يردي إثرها على مسمع مراد قصة يقدم فيها كل ما يجوب خاطره من مشاعر الحب و الكره و رغبة الانتقام و معرفة أسرار سي مختار المدفونة ، المتعلقة بوالدة نجمة ، ليخبر مراد عن شخصيات أبائهم و مغامراتهم في الصغر فيصف حياتهم المليئة باللّهو و المجون و النساء (يقصد بكلامه كل من سي مختار و سيدي أحمد والد مراد و الأخضر و أبا كمال والد كمال زوج نجمة بالإضافة إلى والد رشيد) ، و يصل بعدها إلى قصة والدة نجمة ، الفرنسية المارسيلية ، التي اختطفها سيدي أحمد من زوجها كاتب العدل ، من مرسيليا و جاء بيها إلى عنابة ، لكنها تخلت عنه هناك و اتّبعت مختطفها الجديد أبا كمال فعلم سي مختار بالأمر و قرر الانتقام لصديقه و ذلك بخطف الفرنسية من أبا كمال الذي أنزلها بأفخم فندق بقسنطينة ، و ذلك بمساعدة من طرف أبا رشيد لينفرد بالمرأة الفرنسية ، التي يأخذها إلى مكان مجهول ، تنجب له نجمة بعدها ، و تهرب منه ، ليأخذ نجمة بعدها إلى أخته في عنابة (لالة فاطمة) و يطلب منها تربيتها .

تنتقل الرواية بعدها إلى مقطع آخر هو خطف سي مختار لابنته نجمة من مربيتها و زوجها و ذلك بمساعدة رشيد الذي طمح من خلال ذلك إلى القرب من نجمة لأنه يحبها ، و كذلك

محاولة كشف أسرار سي مختار ترك نجمة هناك (هنا لم تذكر الرواية الدوافع و الأسباب التي دفعت بسي مختار الذهاب بنجمة إلى هناك) ، لكن تشاء الصدف أن يلتقي الثلاثة هناك أثناء تخييمهم بزنجي من قبيلة كبلوت ، الذي يشاهد نجمة و سي مختار عند وصولهما دون رؤيته لرشيد فيستنتج أنهما (نجمة و سي مختار) ثنائي منافي للأخلاق جاءوا لتدنيس أرض الأجداد ، فيغتنم فرصة هبوب عاصفة رعدية ماطرة ليطلق النار على سي مختار و يصيبه بجروح بليغة في رجليه تؤدي إلى موته فيما بعد ، تأخذ نجمة إلى القبيلة بالغضب من طرف الزنجي الذي أحبها بدوره على غرار محبيها و معجبيها ، و يطرد رشيد من هناك ليعود إلى قسنطينة مسقط رأسه ، يسترجع ذكرياته هناك ، و ذكريات والده و يقرر فيما بعد كالاستعانة بكاتب صحفي لكتابة أحداث حياته و أبوه و نجمة .

و بذلك كاستنتاج لأحداث رواية نجمة ، فإنها تزخر بكم هائل من الأحداث كالاختطاف ، و القتل ،و الاغتصاب ، و التخريب ، و العنف و جبروت الاستعمار ، فتصور حال

الجزائر في عصر الظلم و قرارات المستعمرين ، لتقدم الرواية صورة الجزائر في شخصية نجمة المحبوبة من الجميع و المنشودة من طرف الكل حتى أعدائها ، لجمالها وحسنها ، فتمثل نجمة طمع الغير في الجزائر ، و صمودها رغم آلامها و جراحها .

ثانيا ـ الأحداث و الشخصيات و الأمكنة في الرواية

أ ـ الأحداث في الرواية :

ـ خروج الأخضر من السجن و توجهه إلى عنابة :

أول اتهل به الكاتب روايته هو خروج الأخضر من السجن و رحيله إلى عنابة قادما من قسنطينة ، فتبّين الرّواية حمل الأخضر لسكين معه ملفوف حوله كراس ، ليلتحق بعدها بأصدقائه رشيد و مصطفى و شقيقه مراد ، لتتقاطع يومياتهم معا فيتقاسمون همومهم و مآسيهم متّخذين من الخمر و الحشيش ملجأ حنون ، ينسيهم معاناتهم ، فيضطر الأربعة للبيع من حاجاتهم لتسديد مصاريف الأكل و المشروب ، لذلك يضطر الأخضر لبيع سكينه " عرضوا سكينه على موشم فاقترح خمسين فرنكا .

ـ خمسة و سبعون قال مراد .
ـ طيب.
ـ قيمة السكين مئة و خمسون فرنكا على الأقل ، نصف السعر ، أمر مضبوط شرب الغرباء الأربعة مشروبات أخرى[1]

ـ تعرض الأخضر للسيد ارنست في الحظيرة :

يعتبر عراك الأخضر مع السيد ارنست في الحظيرة من الأحداث التي أولتها الرواية أهمية كبيرة ، إذ تطرقت إليها في بدايتها و في نهايتها أيضا ، فيتلخص هذا الحدث في تلقي الأخضر لضربة على رأسه من السيد ارنست أسالت دمه بينما كان منهمكا في عمله بالحظيرة ، لكن بوصول سوزي ابنة ارنست جالبة الغذاء لأبيها يهدأ الوضع قليلا ، لكن بعدما يتناول السيد ارنست غذاءه يقترب من الأخضر و هو في قمة هياجه و خنقه عليه ، ليرمي المتر من يده مستعدا للاشتباك معه ، لكن الأخضر يفاجئه بضربة على رأسه فتحت قوس حاجبه ، ليسقط أرضا و الدم يسيل من وجهه ، لتتوجه إليه ابنته و تذهب بعدها

1 كاتب ياسين ، رواية نجمة ، ت : السعيد بوطاجين ، منشورات الاختلاق ، دار لوسوي الفرنسية ، فرنسا ، ط1 ، 1996، ص9 ،10

لإحضار رجال الدرك الذين اقتادوا الأخضر إلى السجن . " اتجه السيد ارنست نحو لخضر و شفتاه مبقعتان بالمرق ... ألقى المتر في المتراس ، استدار لخضر حول نفسه ، شدّ رئيس العمال من عنقه ، و بضربة رأس فتح قوس الحاجب "[1].

ـ مقتل ريكارد:

يعد مقتل زوج سوزي السيد ريكارد من طرف مراد في حفل زفافه ، حدثا مهما (تم الاحتفال بزواج السيد ريكارد في جو حميم غاية في الانضباط)[2] ، حيث أقيم العرس بحضور جميع المدعوين الأوروبيين و على رأسهم والد سوزي السيد ارنست و رئيسة هيأة الصليب الأحمر و منفذ العدل ، و الضابط وزوجته و غيرهم ، لكن السيد ريكارد لم يكن سعيدا بالحفل ، بسبب تعمد بعض المدعوين إفساده عليه إذ راحوا يفتشون خزانته ، و تواجد تواجد حاضرين في الحفل من المذهب الكاثوليكيي ، هذا الدّين الذي يتعصب منه السيد ريكارد ممّا جعله يلجأ إلى شرب الخمر لتجاوز الوضع ، و ما زاده غضبا ارتداء سوزي لعقد به صليب فلم يستطع السيد ريكارد السيطرة على غضبه فأخذ السوط و أخذ يضرب خادمته ضربا مبرحا ، ليدخل ، ليدخل مراد فجأة و يهجم عليه و انهال عليه بالضرب حتى قتله . "دخل حينها مراد بخطوات صامتة ، لم يزاحم المدعوين و بضربة من الركبة ، لوّا جسد المقاول (السيد ريكارد) "[3] . و بذلك قتله مراد من دون الاستعانة بسلاح ، بل الاعتماد على أطرافه ، ليتقيد بعدها إلى السجن من طرف الدرك .

ـ مراد يحاول خطف نجمة :

كان مراد يدرس مع نجمة فاتفقت معه على الزواج (حدث هذا قبل زواجها) ، بشرط أن ينتزعها من لالة فاطمة و يأخذها من عنابة إلى الجزائر العاصمة ، و قد حدث في فترة استعداد مراد للهرب بنجمة أو اختطافها أن تفطنت لالة فاطمة للأمر ففاجأت مراد و هو يفتش خزانتها بحثا عن المال فأخبرت الشرطة بذلك و لكنها تراجعت عن شكواها فيما بعد ، و اكتفت بطرد ابن أخيها (مراد) من بيتها إلى غرفة قريبة اكترتها له في حي بوسيجور " إنّ مراد ، حسب هذا الجار ، يكون قد ترك الثانوية بإيعاز من ابنة عمه ، وعدته بالزواج منه إذا كانت له الشجاعة الكافية لأخذها إلى الجزائر في سرية ، كانت تأمل أن تحقق أحلامها هناك ، بعيدا عن الشائعات ، أحلام فتاة متحضرة .....فوجئ مراد يفتش عن مال لالة فاطمة التي أحضرت الشرطة ، قبل أن تسحب شكواها .....قال إن مراد لم تعد له

---

[1] كاتب ياسين ، رواية نجمة ، ص53

[2] المصدر نفسه ، ص25

[3] كاتب ياسين ، رواية نجمة ، ص27

مكانة في بوسيجور وأن عمّته على وشك تجاوز الحنين إليه بعد أن أجّرت له غرفة مؤثثة ليست بعيدة عن الدار و قد أصبحت هذه الغرفة ملجأ العاطلين عن العمل مثل رشيد "[1] .

ـ زواج نجمة من كمال :

كان زواج نجمة من كمال غصبا عنها من طرف مربيتها ، و ذلك من خلال اتفاق عقدته الأمّان معا ، فتزوجت نجمة من كمال و هي غير راضية به ، لأنها كانت تطمح لأن تكون فتاة متحررة ، و عاشت معه في تعاسة إلى أن اختطفها والدها و رشيد . " كانت نجمة ترد على أسئلة كمال متذمرة تعامل زوجها بشكل طبيعي ، بلطف مشحون بسخرية ضنها عتابا.

تزوج كمال لأن أمه أرادت ذلك .

تزوجت نجمة لأن أمها فرضت عليها ذلك .

كمال كان بدوره الزوج السعيد "[2]

ـ قتيل المغارة :

يعتبر من الأحداث البارزة و الغامضة داخل الرواية حدث هذا الحدث قبل ولادة نجمة في زمن ماض ، يسترجعه الكاتب ليبيّن سرّ ولادة نجمة ، و توضيح نسبها .

أبرز عناصره ، اختطاف متكرر لامرأة فرنسية من أربعة عشاق ترتبت عنه نتائج خطيرة لعبت دورا أساسيا في بناء عالم الرواية (أصل القضية ، لامبالاة امرأة فرنسية ، لعلّها الآن قد ماتت ، لم تكن قادرة على اختيار واحد من بين عشاقها)[3] ، فراح أبو رشيد ضحية هذا الاختطاف ، كانت الفرنسية تعيش في مارسيليا (كانت جميلة جدا و فاتنة) رفقة زوجها كاتب العدل ، فعشقها سيدي أحمد (والد مراد) و الأخضر فخطفها و جاء بها غلى عنابة ، مدينة المياه المعدنية على حد تعبير الكاتب ، لكنها تخلت عنه هناك و تبعت مختطفها الجديد أبا كمال فعلم السي محتار بالأمر ، و نظرا لعلاقة القرابة و الصداقة التي تربطه بسيدي أحمد قرر مساعدة أبي رشيد ، اختطاف الفرنسية من أبي كمال ليثأر لسيدي أحمد المهان ، و هكذا يقوم الرجلان باختطاف الفرنسية من عشيقها الذي أنزلها في أفخم نزل بقسنطينة .

---

[1] المصدر نفسه ، ص89

[2] المصدر نفسه ، ص72

[3] كاتب ياسين ، رواية نجمة ، ص101

و يتجها بها إلى إحدى المغارات ، وهناك يقتل سي مختار أبا رشيد ببندقية صيد كانت مع هذا الأخير ، و ينفرد بالمرأة الفرنسية التي سيختطفها و ينقلها إلى مكان مجهول ، و يبقى معها مدّة تنجب له فيها نجمة ثم تختفي ، فيسلم السي مختار إلى عمة مراد لالة فاطمة لتقوم بتربيتها ، فيقول الكاتب على لسان رشيد " كان أباك سيدي أحمد (والد مراد) والدك شخصيا الذي خطف زوجة الموثق ، ثم أهمل بدوره مدينة المياه ، أفلتت الفرنسية من أبيك واتبعت المتزمت (أبا كمال) ..... بعد أن راهن بكل ثروته وما كان منه إلاّ أن أسكنها بولع في أكبر فندق شمال قسنطينة ..... و أعلن سي مختار أمام سيدي أحمد الخطيب المهان ..... حالفا بإذلال المتزمت ..... و الانتقام لسيدي أحمد ..... لم تبق الفرنسية أسبوعا واحدا في الفندق ، اختطفها في وضح النهار بالتواطؤ مع أبي (سيدي أحمد) عندما اقترح عليها جولة في عربة ..... اقتيدت الفرنسية المختطفة إلى الغابة ، إلى غابة المغارة .... و في هذه المغارة اكتشفت جثة أبي .....و البندقية الفارغة ملقاة أمام رجليه "[1] .

ـ اختطاف نجمة من طرف والدها سي مختار بمساعدة رشيد :

تجري هذه الأحداث بمنطقة الناظور ، و تتلخص في قيام سي مختار والد نجمة بمساعدة رشيد باختطاف نجمة من زوجها و مربيتها و أخذها إلى الناظور لتسليمها إلى من بقي من أفراد قبيلة كبلوت (دون أن توضح الرواية أسباب هذا القرار الغريب) ، و لما يحلّ الثلاثة بأراضي الناظور تستهويهم مروجه الخضراء ، فينزلون بالمكان و ينصبون خيمتهم لقضاء ما طاب لهم من أيام ، ثم يكتشفون غرفة مهجورة فينقلون إليها متاعهم و يبيتون بها ، دون أن يعلموا أن زنجيا يحمل بندقية كان يتبعهم و يراقب تحركاتهم منذ أن وطأت أقدامهم أرض الناظور .

ـ مقتل سي مختار :

هذا الزنجي و أثناء مراقبته لم يلحظ رشيد بل شاهد سي مختار و نجمة فقط " صياد ماهر ساحر ،..... رأى الزنجي قدوم السي مختار كان على دراية بكل وقائع الدوار المختلفة و كان يجوب الناظور ليلا نهارا طولا و عرضا ..... أبصر مجيء الشيخ و رآه

[1] المصدر نفسه ، ص105

يستقر رفقة ابنته لكنه لم يلحظ رشيد "[1] . " استنتج الزنجي أنّسي مختار و نجمة يكوّنان زوجا منافيا للأخلاق ، لقد طرد من مدينة ما و جاء و يدنّس أرض الأسلاف "[2] .

فاغتنم الزنجي فرصة هبوب عاصفة ماطرة ، ليطلق النار على سي مختار فيصيبه بجروح بليغة في رجليه تكون سببا في موته فيما بعد ثم تفر نجمة من الخيمة من شدة الخوف بعد وفاة والدها ليعثر عليها الزنجي و يقتادها إلى القبيلة قسرا ، بعدها هدّد الزنجي رشيد بالقتل إذ ما حاول اللحاق بنجمة أو اختطافها .

ـ عودة رشيد إلى قسنطينة و نزوله بفندق :

عاد رشيد إلى قسنطينة و نزل بفندق مقابل الجبال التي تتواجد فيها المغارة التي قتل فيها والده ، و كان قبل ذلك قد ذهب إلى المنزل الذي تركه له والده فوجده مهترئا و في حالة يرثى لها ، لتأخذه ذكرياته و يستذكر ماضيه القاسي .

ولما كان رشيد في الفندق التقى بجماعة كان يسهر معهم يوميا ، و كانت الخمور و الحشيشة تسيطر على جلساتهم في الفندق ، بعدها جاء إليه صحفي كاتب و طلب منه أن يحكي له سيرة حياته و أ، يكشف له عن أسرار مقتل والده في المغارة .

ب ـ الشخصيات في الرواية :

ـ الشخصيات الرئيسية :

نجمة : ولدت من أم فرنسية يهودية بالضبط تبنّاها المرحوم زوج لالة فاطمة و فوض أمرها للمرأة المعترف بعقمها و لم يوضح سي مختار بأمها ابنته عندما سلم أمرها للزوجين الّذين ليس لهما أولاد ، الّذين تهجرهما أبدا ، تزوجت رغما عنها عام 1942 وهي تكون ابنة عمة مراد و لخضر " كانت نجمة سمراء جدا عندما كانت صغيرة ، سوداء تقريبا ، طبع قاس الأعصاب متوترة ، هيكل صلب ، قامة دقيقة ، و رجلان طويلتان تمنحها أثناء الجري مظهر عربات خيل عالية على عجلات تنعطف ذات اليمين و ذات اليسار ، دون أن تحيد عن سبيلها ، أية رحابة هذه الطفلة الصغيرة ! بشرة ، صبغ مضغوط كفاية ، و كانت لا تحتفظ طويلا بجبلة شحوبها ، كان اللّعب المستمر لنجمة هو جرأتها الوحيدة ، لذلك يغدو

[1] كاتب ياسين ، رواية نجمة ، ص155

[2] المصدر نفسه ، ص155

فرو الفستان تماديا في العربية ، أنوثة نجمة في موضع آخر ، كانت تبكي في الشهر الأول من الدراسة كل صباح ، تضرب كل الأطفال اللّذين يدنون منها ، لا تريد أن تدرس قبل أن تتعلم السباحة ....."[1] .

ـ مراد : " كان مراد في نهاية عام 1945، قد شارف الثامنة عشر يتيما في السادسة ، تكفلت به عمّته من أبيه ، لالة فاطمة التي لم تكن لها سوى بنت واحدة ، نجمة و ذلك بعد أن فقدت أربعة أطفال تباعا ، مات سيدي أحمد والد مراد ف يحادث حافلة رفقة مومس جيء بها من بيت بغاء بتونس ....حارب والد مراد تحت لواء عبد القادر ... و بذر سيدي أحمد السيولة النقدية ، هو الذي اعتاد على رقصة الشارلستون و تعدد الزوجات .

وكانت ولدته فلاحة فقيرة اسمها زهرة ، التقى بها سيدي أحمد في مغارة بالأوراس "[2] ، و مراد الأخ الأكبر للخضر من الأب ، و هو الذي تسبب في حادث قتل ريكارد و دخل بسببه إلى السجن لأنه أحذ الفتاة سوزي التي كان يحبها مراد .

ـ رشيد : هي شخصية رئيسية لأنها ظهرت منذ بداية أحداث الرواية إلى غاية نهايتها ، ولد يتيم الأب لأن والده اغتيل في مغارة قبل ولادته قتل برصاص بندقية الشخصية ولم يستطع أحد التعرف غلى قاتله ، و هذه الحادثة أثرت في نفسية رشيد و رغبته في فك لغز المأساة الأبوية نتيجة القصص النادرة التي كانت ترويها له عائلته . ورث عن أبيه منزل و عندما أصبح شابا فرّ من العسكرية و اختبأ في غابة ريميس " لم يكن يبالي بملاحقة لا المدرسة ولا العسكرية ولا الورشة شدّته إليه علمته الشرطة الحصانة قبل اجتياز الحدود بكثير في الوقت الذي كان ينظم إضرابات الطلبة ، كان مخبأه مخبأ كل المبعدين ،غابة ريميس حيث أوغل ليلة أول عودة من قسنطينة ، لم يكن وقتها قد مرّ وقت طويل على عبوره الطرابلسية راجلا ، لكنه توجه هذه المرة صوب البيت ورثه عن أبيه ..."[3] . وهو ابن الزوجة الرابعة و كان عازفا موسيقيا ثم دخل عالم المسرح كان صديق كل من لخضر و مراد و مصطفى و السي مختار الذي التقى به في عرس نجمة و قد وقع في حبها كباقي الشباب .

ـ لخضر : هو الشاب الذي فرّ من السجن ، أبوه سيدي أحمد و بعد مجيئه للدنيا اضطرت عمته لالة فاطمة إلى طرده إلى الأوراس رفقة أمه .

---

[1] كاتب ياسين ، رواية نجمة ،ص83

[2] المصدر نفسه ، ص82

[3] كاتب ياسين ، رواية نجمة ، ص160

ـ الشخصيات الثانوية :

ـ كمال : " كمال تاجر تبغ ، يخفي أب الآتي طبعه الصارم و شحوبه الحائل ، عمره ثلاثون سنة ، ليس ذميما ، يؤمن ولا يطبق ، وطني معتدل ، لا يقلق سوى من وضعه كتاجر متوسط ، أنيق يعزف على العود ، أعجب في هذا المضمار بالطليعة المصرية ، و استطاع أن يقلد بوساطة كمنتجته و بأعجوبة ، أصوات المؤذنين المرتعشة ، يعيش كمال برفقة أمه و حماته في دارة بوسيجور ..... تخلى عن دراسته بعد نجمة بقليل ، أي في 1941 ، و ذلك رغم نصائح لالة فاطمة ....."[1] .

وهو أيضا من عائلة ارستقراطية ولد في عنابة من أمه لالة نفيسة و أبوه الشيخ السي مختار ، تزوج بنجمة في عام 1942م .

ـ السي مختار : " هو الذي طاف حول العالم .... و كاد يرجم السعودية ، الذي كان شديد البأس في بومباي و بذر إرثه في مارسيليا ثم عاد إلى قسنطينة قويا ، هو الذي استثمر ثروات أخرى لدى النساء الفاسقين و رجال السياسة يتزوج ويطلق ، يضع العقد ، يقلب المدينة رأسا على عقب لاسترجاع ماله الضائع ، مستعدا باستمرار للإفلاس و العراك ، يغوص بسرعة أسنانه المغشوشة وثيابه غير متجانسة ..... هو الذي ليس له إلا أم عمرها مئة عام يقظة مثله ، بلا زوجة ، بطال ، مكسر الأبواب ، عديم الذاكرة .....متعلم الانجليزية من جندي ولكنه لا ينطق أبدا بكلمة فرنسية دون تحريفها ،عملاق ، كتوم ، حساس متفسخ ، محتال ، أحمق ، مشهور ، عجيب ، فقير ، نبيل ....."[2] .

وهو الذي حكا لرشيد قصة كبلوت و قبيلته.

ـ الزنجي : كان له تأثير قوي في قسم هام من الفصل الرابع في رواية نجمة ، و القسم الذي يتناول مشهد اشتراك سي مختار و رشيد في اختطاف نجمة و الذهاب بها إلى جبال الناظور ، حيث بقايا قبيلة كبلوت ، فتقدم الرواية الزنجي بصفته شخصية تقوم بدور حماية القبيلة من الأعداء و حتى من أبناء الذين فروا إلى المدينة و تركوها تواجه مصيرها في عزلة تامة ، فصورت الرواية الزنجي على أنه ساحر يمتلك مهارات كثيرة منها السحر ، ناهيك عن قوته ، حمله للسلاح (الذي يقتل به السي مختار بطلقات تصيبه في رجليه فتسبب له جروح بليغة تؤدي إلى موته فيما بعد) ، و كذلك صفته السوداء ، و حمايته لقبيلته مع حبه لنجمة التي سحرته كغيره من معجبيها ، و حريته فهو حر طليق في الغابة يفعل ما يشاء .

---

[1] المصدر نفسه ، ص 88

[2] كاتب ياسين ، رواية نجمة ، ص111 - 112

ـ **السيد ريكارد :** كان السيد ريكارد منبوذ من الناس فكان مكروها ، مقاول صاحب أموال ، يمتلك ملبنة و حافلات كثيرة بالإضافة إلى ورشة و كل ذلك حققه هو بمجهوده الخاص دون وراثته من والده ، لذلك كان ريكارد عصبيا و كان سائقا لحافلته التي تسع 33 شخصا الذين كانوا كلهم يجمعون على مقته ، أما حياة السيد ريكارد العائلية ، فقد مات والده وهو صغيرا فأمه ماتت و هي تضعه ، و بعدها بعامين لحقها والده ليبقى به ريكارد يتيما أما

دور الأوروبي ، المتسلط القاسي الثري ، السّكير ، القوي الذي يهابه الناس لجبروته إضافة إلى كرههم له ، يتزوج سوزي ابنة صديقه أرنست لبتي يغصبها والدها على الزواج به رغم أنها لا تحبه و ذلك ليساعده ريكارد في تنمية أعماله و إنقاذه من الإفلاس لكنه يقتل من طرف مراد في ليلة زفافه ، لأن مراد كان معجبا بسوزي ولم يتقبل فكرة زواجها من السيد ريكارد .

ـ **الخدم :** جاء في الرواية خادمتين :

ـ **الخادمة الأولى :** في الحانة التي كان يتردد عليها السيد ريكارد و كانت معجبة به ، فتسأله عندما تسكب له الخمر عن أسباب عدم زواجه و تلمح له بأنها مستعدة للزواج به ، كما كان السيد ارنست يتوجه إلى تلك الحانة بالتحديد لرؤيتها و الاستمتاع بقوامها الرّشيق .

ـ **الخادمة الثانية :** تعمل في بيت السيد ريكارد ، و هي التي انهال عليها ضربا بعد سكره في ليلة زفافه بالسوط و كاد أن يقتلها لولا تدخل مراد .

ـ **سوزي :** تبلغ من العمر الثامن عشر سنة ، جميلة و رشيقة ، حولها معجبون كثر أولهم مراد ، كانت عشيقة ناظر الدرك ، تزوجت من السيد ريكارد غصبا من طرف والدها لكنها فقدت زوجها في ليلة زواجها .

ـ **زهرة :** والدة مراد و الأخضر : و هي زوجة سيدي أحمد الأوراسية الأصل .

ج ـ الأمكنة في الرواية :

إن حضور المكان في الرواية أمر حتمي لا مناص منه ، فقد يختار الكاتب مكان واحد تجري فيه الأحداث و قد تعدّدت الأمكنة و في رواية نجمة فهناك أماكن مفتوحة و أماكن مغلقة .

الأماكن المغلقة :

ـ المقهى الشعبي : وهو موجود في القرية أو نستطيع القول بأنه مقهى القرية وهو مقهى ثري و كان يدخله أكثر الناس ثراء و هو الذي توجه إليه كل من لخضر و مراد بعد فرارهم من السجن و في هذا المكان قدم لخضر سكين للبيع على موشم .

" دخلوا إلى أكثر المقاهي الشعبية مدعاة للرثاء ، و كان لخضر في المقدمة ، أبدى الزبائن علامات التفاهم ودعتهم الأكثرية ، عرضوا السكين على موشم فاقترح خمسين فرنكا "[1] .

" اصطدموا بسكير عند الخروج من المقهى الشعبي "[2] .

ـ المرقد الجماعي : هو مكان للنوم كان يلبثه كلّ من الأصدقاء الثلاثة (مراد ، لخضر ، مصطفى " كانوا يحولونه في الليل إلى مخمرة لشرب النبيذ تحت ضوء الشموع .

" أعطني هذا السكين إنه لي ، لا داعي لفتح الزجاجة ، سنطفئ الشمعة بعد قليل "[3] ، وهذا المقهى يرصد جزء من الحالة الاجتماعية التي كانت سائدة آنذاك ، و حالة التوتر بين الناس و دليل ذلك(السكين) و شرب الخمر .

ـ المغارة الجبلية : و هي مغارة مهجورة تقع في أعالي الغابة و فيها يقع أهم حدث في الرواية ، حيث استقى فيها كل من سيدي أحمد و السي مختار و قاموا باغتصاب امرأة فرنسية (أم نجمة) و تم قتل سيدي أحمد برصاص بندقية دون التعرف على قاتله .

" مات برصاص بندقية الشخصية، قتل في عمق مغارة من مجهول يكون قد فرّ ، أو اختبأ أثناء التحقيق ، ولا أحد استطاع التعرف عليه إلى اليوم "[4] .

" اقتيدت الفرنسية المختطفة إلى الغابة إلى المغارة ، حيث يعيش اليوم مندوبو قسنطينة في هذه المغارة اكتشفن جثة أبي "[5] .

ـ مسجد كبلوت : وهو مسجد يقع في قبيلة اسمها كبلوت سميت نسبة إلى زعيمها كبلوت و في هذا المسجد تم اكتشاف جثتين هامدتين رجل وزوجته مطعونين بخنجرين لم يتعرفوا على هويتهما ، و في هذا المكان تنعكس صورة تاريخية عن الذين سكنوا الجزائر و خلّدوا تراثا فيها .

---

[1] كاتب ياسين ، رواية نجمة ، ص 09
[2] المصدر نفسه ، ص10
[3] المصدر نفسه ، ص31
[4] المصدر نفسه ، ص105
[5] المصدر نفسه ، ص 105

" حدث كل شيء خلال أيام معدودات ، بعد أن تم اكتشاف جثتي رجل و زوجته مطعونين بخنجر مطروحين في مسجد كبلوت ، كانت الجثتان ممددتين وداميتين في علبة من الأسمال....."[1] .

وبالإضافة إلى هذه الأماكن نجد أماكن منغلقة أخرى كالفندق ، الورشة ، السجن ، المدرسة .

الأماكن المفتوحة :

ـ الغابة : و هي التي شدّ إليها الرّحال كلّ من سي مختار بعد خطف نجمة من أمها ومن التبني و زوجها ، و غادر رشيد معهما و في هذه الغابة حدث ما لم يكن في الحسبان حيث تبين أن أصحابها كابلوتيون و طلبوا من السي مختار و رشيد الذهاب من الغابة مقابل ترك نجمة ، لكن السي مختار لم يوافق على ذلك ، ثم طلب منهم مقاسمة معيشتهم أياما ، و قدموا لسي مختار شرط بأنه يمكن أن يدفن في مقبرتهم مقابل التخلي عن نجمة . " .....إنه على حافة الموت ، لا يمكنكم حاليا أخذ نجمة إننا نرجو منكم ، كخلاص أن تقاسموا معيشتنا اياما قليلة .

بإمكاننا قبوله في مقبرتنا إن مات ، و لكن ، عليكما فيما بعد ، بالذهاب فورا و التخلي عن ابنته "[2] .

ـ الشارع : في هذا الشارع خرج رشيد مع المرأة التي تعرف عليها في العيادة من طرف السي مختار و لكنها تخلت عنه . "حرجت معها ، و لكنها في حدود منتصف الليل ،و كما توقعت تخلت عي في زاوية الشارع ، بخطى سريعة واثقة ، دون أية كلمة وداع ، لا خبر عنها من وقتها ...."[3] .

المكان الرئيس الذي دارت فيه الرواية :

[1] كاتب ياسين ، رواية نجمة ، ص 131
[2] المصدر نفسه ، ص154
[3] المصدر نفسه ، ص115

تدور أحداث رواية نجمة في مدينتين منفصلتين تبعد الأولى عن الثانية مسافة معتبرة هما: مدينة قسنطينة التي تنطلق منها الأحداث و مدينة عنابة التي تكمّل باقي الأحداث .

ففي قسنطينة نجد السجن الذي كان فيه الأخضر ، و المغارة التي نقلت إليها مارسيليا والدة نجمة بعد اختطافها من طرف والد رشيد و سي مختار ، و كلاهما مكانين مغلقين إضافة إلى جبل الناظور (الذي تقطن فيه قبيلة كبلوت التي لها دور كبير و جانب معهم داخل الرواية) و تمثل المكان المفتوح .

أما في عنابة فنجد ورشة العمل التي يعمل فيها الأصدقاء الأربعة (رشيد ، مصطفى ، الأخضر ، مراد) و كذلك بيت أو دار نجمة الكائن في حي بوسيجور . فقسنطينة تمثل بيت الآباء ، الذين كتبوا أسرارهم فيها و كانت بمثابة منطلق الأحداث التي توالت منذ بداية الرواية ، فكان حضور هذه المدينة قويا من خلال وصف الكاتب لها ببيوتها ، و جسورها و شعبها إلى ثقافتها ، أما عنابة فتمثل بيت الأبناء ، فكانت شاهدة على أخطاء أبائهم الفاسقين ، إضافة إلى تسليط الضوء على الحياة الاجتماعية للمدينة في فترة الاستعمار .

تجليات الأسطورة في رواية نجمة

"نجمة" هي أسطورة الروائي و المسرحي الراحل كاتب ياسين التي كتبها في عز اشتعال الثورة التحريرية سنة 1956 ، و لقد أوصلت رواية نجمة الشهيرة كاتبها إلى مصاف العالمية حيث يعتبر الأديب الراحل كاتب ياسين من أكثر الكتاب اشتعالا على الرمز، و قد اختار لنفسه اسما فيه الكثير من الرمزية , "كاتب" بمعنى الكاتب و "يس" بمعنى النبي صاحب الرسالة ، و هو و احد من ابرز الكتاب الجزائريين و من بين الأدباء المعروفين على الصعيد العالمي ممن قدموا للمشهد الثقافي تراثا إنسانيا لا يزال خالدا إلى يومنا .

و تأخذنا "نجمة" إلى عالم مدهش غرائبي حتى تكاد تتمظهر الأسطورة في كل مشهد من مشاهد الرواية ، بل حتى تصبح الرواية في مجملها أسطورة ، وفي أثناء محاولتنا لاستقصاء التوظيف الأسطوري في الرواية ، ارتأينا الوقوف على أهمها كالآتي :

1- أسطورة قبلوت ،الميث القبلي في الرواية :

بعد قراءة نجمة، نرى أن كاتب ياسين خلال روايته سلك سلوكا ميثيا من خلال الأحداث التي أضفى عليها طابعا تاريخيا مبجلا ، و من خلال الشخصيات القبلوتية التي أعطاها طابعا مقدسا ، أو ذلك الميث القبلي الذي يعبر عن الرغبة الميثية نفسها التي يقصدها بيار ز يما أي " تلك الرغبة التي يكابدها أعضاء جماعة اجتماعية يرغبون في الهجرة ـ كما يقول بروست ـ إلى داخل (داخل مجموعة فاتنة)"[1] .

أسطورة قبلوت تشكل موضوع متغيرات عديدة تزدحم فيها التفاصيل التي تشكل فيها الميثات المختلفة نقطة الانطلاق و المحفز ، و تصبح حكاية قبيلة قبلوت وعاءا لإبداع كاتب ،و فضاءا لعام الرواية أجمع .

[1] مرية مخفي جواد ، السلف الزهيد ، الرغبة الميثية في نجمة كاتب ياسين ، ترجمة عبد المجيد الأزهدي المجلة www .fikrwanakd.aljabriabed.ne

إن كاتب ياسين كان يستلهم و في كل حين من بطولات السلف المجسدة في مدن سرتا و عنابة و قرطاج و سير يوغرطة و الأمير عبد القادر في تصوير مشاهد روايته المنددة باستبعاد الشعب الجزائري و استعمار الأرض المغاربية ككل . لكنه لم يتوقف عن ذكر قبيلة قبلوت ، بل حتى أنه ذكر حكايتها : (قدمت قبيلتنا تحت قيادة قبلوت من الشرق الأوسط ، و ذهبت إلى اسبانيا و استقرت بمراكش .....لم يبق أثر لقبلوت و كل ما نعلمه أنه كان رئيسا لقبيلتنا في فترة سحيقة يصعب تحديدها خلال القرون الثلاثة عشر التي مرت منذ وفاة الرسول ، كل ما أعرفه تناهى إلي من أبي الذي تناهى إليه من أبيه و هكذا دواليك .....هناك احتمال كبير أن يكون قبلوت هذا قد عاش في الجزائر في الشطر الأخير منحياته على الأقل لأنه مات بعد أن جاوز المائة.....و تدل بعض الحصائص المتوارثة في ذريته أن قبلوت الجد الأول لم يكن قائدا للجند و لا وجيه ، بل كان صاحب مذهب ، و كان فنانا . و لم يكون في هذه الحال شيخ قبيلة له القوة و النفوذ ، و كان القبلوتيين لا يملكون إلا قليلا من الثروة . لكنهم كانوا يبنون مساجدهم و يقيمون مزاراتهم أنى حلوا .....و يبدون هذا معقولا لولا أن بعض الأحداث التي أعقبت الاحتلال الفرنسي ترجعنا إلى ترجيح احتمال أن يكون قبلوت الأول ذا سلطان و نفوذ ، شيخ قبيلة بدوية أو عشيرة مسلحة تعيش منذ القرون الوسطى في جهة قسنطينة بجبل الناظور . و هو موقع منعزل يسمح بالاحتفاظ بمنطقة ظلت دوما تستقطب نظر الغزاة و منهم الفرنسيون الذين لم يتمكنوا من بسط نفوذهم عليها برغم انقضاء عدة عقود على محاولاتهم المتكررة من أجل ذلك .إلى أن توفر أخيرا مبرر لاستئصال القبيلة ..... جرى كل ذلك في غضون عدة أيام إثر اكتشاف جثتين لرجل فرنسي و زوجته في مسجد قبلوت و قد مزقتها طعنات عديدة بمدية ، كانت جثة القتيلين ترقدان مصبوغتان بالدماء في حزمة من الثياب ..... فخرب الناطور و دمر ، وقتل أهله ، وعين القضاة العسكريون ، ولم يدم التحقيق إلا مدة وجيزة انتهى بإصدار الحكم في ساحة الثكنة ، و جزت الرؤوس أعيان القبيلة الستة في نفس اليوم الواحد تلو الآخر فغادر من نجا من الشبان الناظور و استقروا في جهات أخرى من المنطقة ولم يبق بأرض الأجداد إلا بعض الشيوخ و الأرامل و الأطفال حتى تبقى آثار القبيلة قائمة . و يحكى أن إحدى الأرامل اللواتي ضحت بهن القبيلة فتركتهن في الناظور ، بقيت وحدها بين الأطلال لتواصل بث تعاليم قبلوت و هكذا حرم اسم كبلوط إلى الأبد و بقي في القبيلة سرا محزنا ..... لكن بقي الجامع أطلالا دراسة ، يقوم إلى جانبه علم المزار الأخضر ، قد من أسمال الأرامل و الشيوخ)[1] .

[1] كاتب ياسين رواية نجمة ، ص من 171 إلى 175

تضمن هذا المقطع الروائي سردا لأصل قبيلة قبلوت و للأحداث التي تعرضت لها ، و كلما توغلنا أكثر في قراءة الرواية يظهر جليا ذلك الإعجاب بفتنة النسل القبلوتي حتى تصبح قبلوت هي الميث ـ في رواية كاتب ياسين ـ و تصير لا محالة هي المحرك السري الذي يتحكم في سلوك شخصيات الرواية كما أن الحكايات المتنوعة و المتناقضة للسلف في رواية نجمة ستلاحق الروائي و تحثه . و يوضح جوزيف شيلهود في كتابه بنيات المقدس عند العرب أن الشخصيات الميثية عندهم هي عموما كائن بشري : شيخ قبيلة أو فارس مقدام أو سلف رمز (يطلق اسمه على بلد أو مؤسسة) ؛ و يؤكد أن < التناقضات التي تحملها الروايات المختلفة للميث نفسه يجب ألا تفاجئ بإفراط ، لأن المعتقدات لم تكن متماثلة في جميع القبائل >[1]

و تظهر الرغبة الميثية من خلال تباهي شخصيات الرواية بأصلها القبلوتي : هكذا ، فإن رشيد مثل " سي المختار ينحدران من الجد قبلوت "[2] و " سي مبروك مضنى بالولع الأقصى بمؤسس القبيلة ، الشيخ قبلوت الذي يحتمل أن يكون هو الآخر من ذريته"[3] و حتى نجمة ذاتها من أصل قبلوتي الأول و يماثلها في الأصل كل من مصطفى و مراد و الأخضر ،و رثة قبلوت الأول الذين يستشعرون في أنفسهم و رغما عنهم ن الرغبة في افتداء أصلهم الارستقراطي : فقد كتب مصطفى في مذكراته : " إني أمل الأسرة الوحيد "[4] أما رشيد فيفسر لمراد سر هذه الرغبة : "تلك هي أرواح الأجداد التي تملأ كياننا (...) ظلالآباء و القضاة و المرشدين الذين نقتفي آثارهم و نتتبع خطاهم رغم طريقنا الخاص ، دون أن نعرف أبدا أين يوجد ."[5]

و من جهة أخرى، فإن الأحداث التاريخية المدرجة في الرواية : إنجازات الأمير عبد القادر، انتفاضة سطيف ، بسالة القبلوتيين و عدم خوفهم من المستعمر ، تشتغل بصفتها شهادة على الوضع الشرفي للمجموعة المرجعية . و تدعم قيمة القبيلة تاريخيا و اجتماعيا . و حينها يصبح الكاتب و أبطاله في العالم الخرافي للأجداد الذين يمثلون الموقف الورع و

---

[1] J. Chelhod .Pari . Les structures du sacre chez les Arabes . Maison neuve . paris .Larosee . (Coll. Islam d'aujourd'ui). 1964. P145

[2] كاتب ياسين ، رواية نجمة ص171

[3] المصدر نفسه ص106

[4] المصدر نفسه ص77

[5] المصدر نفسه ص79

الشرف المحتمل . هكذا ، منذ " أن ظهر الشيخ قبلوت الأسطوري في حلم رشيد أصبح الأخير ملزما بقراءة تاريخه الخاص في عين قبلوت ذات الصفرة المشبوهة بالسواد "[1]

و هكذا ستشكل أسطورة قبلوت موضوع الرواية الذي تزدحمفيها التفاصيل بنبرات ميثية و تشتد فيه الرغبة الميثية التي تشكل نقطة انطلاقها و محفزها المساعد ، و جميع عشيرة قبلوت بتاريخها المأثور و طبعها الشريف . و من ثم ، يدرك الميث القبلي بصفته ملطفا لقساوة المستعمر على الكاتب و شخوص روايته على السواء .

هذه هي أسطورة قبلوت التي ولدت المأساة في رواية نجمة من خلال تضارب الحاجات و المتطلبات بين الأسلاف و الأخلاف ؛ و هكذا تصبح قبلوت خلاصة الرغبة الميثية في الرواية ، و التي تمثل قيم المجموعة المرجعية التي لا تفقد أساسها الاجتماعي بل تصبح أشكالا و علامات أسطورية و أوهامها باطلة لا معنى لها في الواقع ، لكن لها كل المعنى والمغزى في واقع الرواية و في سبر أحداثها ، و في حركة أبطالها ، و بالتالي في ذهن المؤلف بشكل أساسي .

و كاتب ياسين من خلال تأكيده على الرغبة الميثية في روايته التي هي ترجمة لواقع معروف و مؤكد تاريخيا و بدون شك ، إنما هو يؤكد على أن هذه الرغبة الميثية متجذرة فينا و لن تكف عن الوجود بصفتها ميزة اجتماعية ملازمة للفرد الجزائري ، و ربما العربي على السواء .

2- أسطورة الابن الضال :

من خلال الإطلاع غلى عناصر حكاية نجمة و جزئياتها المتعلقة بكل شخص على حدى تأكدت علاقة كاتب ياسين بالثقافة العربية عمما ، و بما تزخر به الساحة الأدبية الغربية من أعمال ، كما تأكد تعلقه بما هو موجود عند غيرنا في الآداب الأجنبية .

و بما أننا لا نكتفي بالتوقف عند مستوى النص الفوقي بل نتجاوزه إلى البحث في مستوى أعمق و هو مستوى التعاليات النصية ، فقد كشفنا تأثر الكاتب و استعماله لأسطورة الابن

[1] كاتب ياسين ، رواية نجمة ص134

الضال و هي إحدى أعظم القصص في العالم . في الشريعة اليهودية و النصرانية على السواء ، و هي تحكي قصة رجل له و لدين اعتقد أنه أحسن تربيتهما . وقد كان في شريعة ذلك الزمان أن الأب إذا أراد أن يستريح من ادارة أعماله فعليه أن يوزع أمواله على أبنائه . أن يأخذ الابن الأصغر ثلثا من مال أبيه و يأخذ الابن الأكبر ثلثي المال ، لكن كم كان قاسيا على نفس الأب أن يتقدم الابن الأصغر طالبا القسم الذي يصيبه من مال أبيه . و لم يعارض الأب بل لم يتردد ، و أعطاه حصته و كما طلب ، لكنه أراد بذلك أن يتعلم الابن درسا قاسيا إذا أصابه ضرر أو سوء . و بعد بضعة أيام ، جمع الابن الأصغر كل ما عنده ، و لما أنفق كل شيء أخذ يشعر بالحاجة . فذهب باحثا عن العمل ليسد جوعه . فأرسله أحدهم إلى حقوله ليرعى خنازيره و كم اشتهى لو يملأ بطنه من الطعام الذي كانت الخنازير تأكله و لكن هيهات . ثم رجع إلى نفسه فقام و رجع إلى أبيه و هو عازم على الاشتغال عنده كخادم مأجور . و لكن أباه لما رآه ركض إليه و عانقه و قبلّه بحرارة و استقبله و سامحه على ما فعل .[1]

تلتقي هذه القصة التي ارتقت إلى مصاف الأسطورة لشيوعها في ثقافات مختلفة ، ودخولها في الموروث الشعبي الذي تعبر الأسطورة مرجعا له ، تلتقي في خطوط تقاطع كثيرة مع قصة رشيد ، ابن سيدي احمد الفاحش الثراء ن الذي مات مقتولا ، فيحمل ابنه رشيد مهمة الانتقام له و تبدأ رحلته من قسنطينة إلى عنابة ثم إلى مكة ، و بعدها يرجع إلى موطن أجداده في منطقة الناظور بعد أن يختطف نجمة ، و هو في كل ذلك يتبع سي مختار في حلّه و ترحاله ، لكنه لا يريد قتل هذا الرجل الذي يظنّه قاتل أبيه ليعرف منه حقيقة نجمة ، و تنمو بين الرجلين أو اسر صداقة أشبه ما تكون بعلاقة الأب بابنه ، إضافة إلى سي مختار لا يجهل أنّه أبو كامل أيضا و لم يستطع أن يمنع زواج كامل من نجمة زواج سفاح لأنّها أخته من أبيه خوفا من افتضاح مأساتها ، و يحجّ الرجلان إلى مكة و يفشي السي محتار السر إلى رشيد ، و يقرر الاثنان أن يخطفا نجمة من زوجها كامل الذي هو أخوها من أبيها ، و يقودانها إلى جبل الناظور المنيع الذي يصعب الوصول إليه .... و في النهاية و بعد أن يسجن مراد لقتله صهر السيد أرنست لأنّه رآه ينهال ضربا على الخادمة الجزائرية بدون رحمة ، يوقف رشيد لفراره من خدمة العلم الإلزامية ، ثم يقرر أن يعود إلى مسقط رأسه في قسنطينة و طيف نجمة يتراءى له دون انقطاع ، و قد ضيع كل ما كان يملكه ، حتى أنه ضيع أصدقاءه . حيث يصف السارد لحظة افتراق الأصدقاء و عودة الابن الضال (رشيد) إلى مسقط رأسه قائلا : «قال رشيد : إني ذاهب إلى قسنطينة . فأجابه لخضر : هيا بنا ، سأصطحبك حتى عنابة و أنت يا مصطفى ؟

[1] ادوارد هيوز ، الكاتب المقدس للأطفال ، هيئة جينيسيس للنشر ، 2009،ص من 03 إلى 17 بتصرف

ـ سأتخذ طريقا آخر ....

و غاب الشبحان في ثنايا الطريق >[1]

وياي بعد هذا مباشرة خطاب على لسان رشيد يقول :" مضى علي زمن منذ أن عدت من الحظيرة ، انقضى زمن و أنا بلا عمل ، مرت ثلاث سنوات و أنا بلا هدف أسعى إليه ...."[2]

و بهذا فإن شخصية رشيد قد شكلت في موضوع السرد شخصية مركزية ممثلا شخصية الجزائر المهمش من قبل الاستعمار و الباحث عن مكان مركزي له في هذا العالم <رشيد الشرس مولود ساحة لابراش و المناوشات في الشارع >[3]

كان عاملا في الحظيرة ، ثم متسكعا ضائعا بلا هدف ، ثم سجينا بعد أن يطعن صديقة مراد بسكين ، و نعرف من قبل أنه هارب من الخدمة الوطنية لتكتمل صورته كمحشش بلازم الفندق لا يغادره معاقرا للحشيش و الخمر ، وما زاد ألمه حبه الكبير لنجمة و عذابه من هذا الحب الضائع <...كان قلقا مضطربا يحس بضياع مطبق ، كان يدخن كثيرا ولا يكاد ينام ليلة غب أخرى ، كان أرقا متسهدا هائما على وجهه ..... يزداد هزالا يوما بعد يوم حتى غدا منغلقا على نفسه تماما ...>[4] لكنه في الحقيقة لم يختر حياة الصعلكة هذه ولم يكن يرضاها ، لكن فرضتها عليه الظروف <...و بدأ رشيد يكره مكان الهجر و الحزن الذي و رثه عن أب اغتيل في مقبل العمر ...>[5] لكنه وجد في حياة المغامرة و الترحال بحثا عن حياة أفضل تخلصه من قلقه الدائم و ضياعه المستمر و هاهو يقول : <عشت هاربا مدة

طويلة دون التخلي عن قميصي العسكري و لم يعرف موضعي ...>[6] لكن يكتشف في النهاية ، و بعد رحلة ضياع اختارها بنفسه لنفسه ، يكتشف أن خلاصه الوحيد يكمن في التخلي عن كل شيء و العودة مرة أخرى إلى قسنطينة .

---

[1] كاتب ياسين ، رواية نجمة ، ص32

[2] المصدر نفسه ،ص32

[3] المصدر نفسه ،ص45

[4] كاتب ياسين ، رواية نجمة ، ص100

[5] المصدر نفسه ، ص 201

[6] المصدر نفسه ، ص242

ها هو رشيد الابن الضال ، وريث سيد أمحمد و الباحث عن الانتقام ، يضيع كل ما يملكه في حياة الخلاعة و المجون ، و في رحلة طالت مع السي المختار في بحث مضن عن الحب و المال و الشرف القبلي ، يصبح تائها محطما يصفه صديقه مراد قائلا :< رشيد كان أرقا متسهدا هائما على وجه وحده أو برفقتي .... فإنه إذا ما تحدث إلي فكلامه كان ألفاظا محمومة أو صراخا متفجرا يعقبه صمت حزين ، غدا منغلقا على نفسه تماما ...>[1] ، رشيد الذي يخرج من قسنطينة ليعود إليها بعدما فقد أمواله و أصحابه و سي مختار ، و فقد نجمة حبه الأبدي ، و طرده الزنجي من قبيلة قبلوت التي حرم عليه الدخول إليها ، و هاهي قسنطينة تفتح ذراعيها له ، و لكل قادم إليها .

ومن خلال التداخل ، يظهر لنا جليا سعة ثقافة كاتب ياسين ، و مدى اطلاعه على القصص المتعلقة بالديانات الأخرى غير الإسلام ، ومن ضمنها قصة "الابن الضال " الواردة معالمها في رواية "نجمة" ، و التي لها علاقة بالديانتين النصرانية و اليهودية ، و هذا ربما يرجع إلى كونه عايش المجتمع المسيحي لفترة ليست بالقصيرة ، و بالتالي قد تعرف على القصة من خلال احتكاكه بالمسحيين في فرنسا خاصة ، أو ربما أنه تعرف عليها لأنها أخذت طابع العالمية ، فشاعت في الإبداع الأدبي ليس لكاتب ياسين فقط ، بل لغيره من الأدباء العرب.

3 ـ الأسطورة نجمة :

إن الفتاة نجمة تعتبر الشخصية المركزية في رواية كاتب ياسين ،بل تعتبر الكائن الرمز في الرواية < نجمة من هي نجمة يا ترى ؟ ظل الكاهنة و يسري في عروقها دم بني هلال ، رمز العزة و الأرض الغاضبة التي يموت منها و لها شباب الجزائر الحانقة. و هي كلّ ذلك و أكثر قصة الدم و قد ثار ، أريق و عفن و تألق نجما . يهيم وراء ظلها عبثا ، غمر من العاشقين برز منهم أربعة جمع بينهم النسب الوله؛ مراد ، الأخضر ، رشيد ، و مصطفى . يبحثون عنها و كأنهم يبحثون عنها عن الذات و قد استعصت و احتجبت وراء شبح قبلوت ، الجدّ الفاتح ، وحال دون الوصول إليها كابوس المستعمر >[2] . فهي تحضر كشخصية محورية يقوم عليها فعل السرد ، كذات فاعلة في ثنايا الأحداث ، تتواجد في كل المقاطع السردية ، وفي أذهان كل الشخصيات ، و تتمظهر كاللغز في رؤى عشاقها الأربعة : رشيد ، الأخضر ، مراد ، و مصطفى ، و هي موضوع فتنة و إغراء للجميع ، فنجدها

---

[1] المصدر نفسه ، ص101

[2] كاتب ياسين نجمة ، (مقدمة الناشرين) ، ص 21

حينها في مذكرات مصطفى ، و حينا آخر في أحاديث رشيد مع الأخضر ، و كذا في تصريحات سي مختار ، و هي شخصية لا تفعل شيئا في الرواية ، لكنها تظهر بغزارة على مستوى السرد ، و من خلال الحوار داخليا كان أم خارجيي ، و تتشكل صورتها من خلال أحاديث الشخصيات الأخرى ، و من خلال أحلام عشاقها الأربعة ، و كل ذلك ما كان إلا طريقة لرسم الجانب الأسطوري الوهمي في شخصية نجمة . هذه الغائبة الحاضرة في أذهان و أحاديث كل الشخصيات ، إذ لا تتضح حقيقتها إلا من خلال جمع ملامحها المتناثرة في ثنايا الرواية ، التي تسكن كل فصولها و تتفاعل مع جل شخصياتها ، فتصبح لغزا مغريا يحير الجميع و يستهويهم ، و لكن لا أحد يستطيع أن ينالها ، فهي ـ على لسان سي مختار ـ : < على شاكلة نجم يتعذر نهبه جراء ضوئه الخاطف >[1] ، و هي في وصف مراد : < كانت سمراء جدا ، سوداء تقريبا ، طبع قاس ، أعصاب متوترة ، هيكل صلب ، قامة متينة ، رجلان طويلتان ...>[2]. أما في حديث لخضر فهي : < نجمة ، الشكل المحسوس ، الصلب ، اللب ، النواة ، ولكنها ليست الروح .....>[3]

و في كل الأحوال تبقى نجمة ، متمنعة ، عصيّة على الإمساك بها ، ولا ندري كيف سمّى كاتب ياسين بطلة روايته بهذا الاسم ؟ هل اعتمد على حكاية البوغي و كرّر الحبّ المستحيل من خلال الاسم نفسه ، أم كان الأمر مجرّد صدفة ؟ و في كل الأحوال ، فإن الأسطورة نجمة تتجدد و تتبدل وتتغير مع كل قراءة جديدة للرواية . و على النقيض من الكتاب ، لا يضعنا (كاتب ياسين) أمام فتاة مثالية كاملة الملامح و الأبعاد ، بل إنه ـ في واقعية جارحة ـ يلخص بطلته نجمة في كونها امرأة حتى و إن كانت جميلة في شكلها إلا أنها مشوهة و ممسوخة في أصولها و هوينها ، فنجمة فتاة ذات أصل غير واضح ، ابنة امرأة فرنسية يهودية و أب قبلوتي غير معروف ، زوجت إلى كامل الذي قد يكون أخوها ، و هو ابن سي مختار الذي قد يكون والدها . < و نمت نجمة بسرعة بعد أن تخلصت من الأمراض ، ككل بنات البحر الأبيض المتوسط ، و نش المناخ البحري على بشرتها لونا نحاسيا ممزوجا بصبغة قاتمة ، تلتمع فيها أشعة فلاذية باهرة ، كثوب حيوان مذهب ، و بداجيدها في بياض مسبكة لوحة الشمس حتى الأعماق . و قد كان دمها تحت الوجنات ذات الزغب ، يتكلم بسرعة وقوة فاضحا ألغاز النظر >[4] و قد أمضت نجمة حياتها موزعة بين

---

[1] المصدر نفسه ، ص197

[2] المصدر نفسه ، ص122

[3] كاتب ياسين نجمة ، (مقدمة الناشرين) ، ص332

[4] كاتب ياسين نجمة ، (مقدمة الناشرين)،ص116

أمها الفرنسية ، و أبيها الجزائري ، و امرأة جزائرية عاقر متسلطة على الجميع ـ زوجها و ابنها ـ تبنتها ، و بين زوج جزائري خامل تكرهه ، تزوجته رغما عنها ، و هو تزوجها مكرها أيضا ، إلا أن عاد الصواب إلى من يعتقد أنه أبوها سي مختار ، فاختطفها من زوجها ، و صعد بها جبل الناظور حيث أعادها إلى قبيلتها قبل أن يموت .

و في ربوع الأجداد عاشت نجمة حب الشباب وهيام بها ، و رغم جمالها الأخاذ ، و فتنة جسدها فقد وصفت في الرواية بأنها "المرأة المشؤومة "[1] و هي " ذلك الطيف يبتسم بأبهته "[2] و بأنها " لم تعد سوى شعاع خريفي خبا بريقه ، أو مدينة محاصرة ترفض أن يحل بها الخراب (نجمة) الدم المتدفق من القتل ..."[3] فنجمة إذن ما هي إلا رمز تسطر بقلم كاتب ياسين، فأصبحت "نجمة الأسطورة " و رغم كونها تمثل الصمت المطبق في أحداث الرواية إذ لا تتحدث إلا نادرا جدا ، لكنها تتجاوز حدود الحطاب برمزيتها رغم صمتها هذا.

و عند ربطها بالسياق المرجعي المحيط بها ، نفتح مجالات التأويل لنصل إلى دلالات خفية لنجمة التي قد يكون كاتب ياسين يقصد بها < الجزائر نفسها ، إنها الوطن الضائع ، والماثل أبدا . إنها هذا الوطن الذي ينبغي خلقه من جديد ، هناك في أعالي الجبل ، جبل الأجداد >[4] . إن التعقيد و الغموض يحيطان بها من كل جانب ، و ذلك الماضي المظلم من حياتها الذي مسخ هويتها و شخصيتها .

هذه هي نجمة .. التي تغرق الأيدي حين تظن أنها قد أمسكت بها .. إنك < تراها حينا واضحة جلية ، و إذا بها تبتعد عن ناظريك ، حتى لتصعب عليك رؤيتها ... إنها نجمة .. الصعبة المنال ... إنها الغولة ذات الدم القاتم ... نجمة التي يتنازع الرجال أبوتها ... لكن أمها الفرنسية قد حكمت عليها بأن تكون كالزهرة السامة التي لا يمكن استنشاق عبيرها ... لقد لوثتها أمها من أعماق جذورها >[5] . و لا ندري في النهاية ، هل نجمة امرأة مشؤومة حقا أم ضحية لظروفها ، حتى أننا لا نعرف مصيرها بعد دخول القبيلة ، غير أن ما يهمها

---

[1] المصدر نفسه ، ص152

[2] المصدر نفسه ، ص133

[3] المصدر نفسه ،ص200

[4] كاتب ياسين ، الجثة المطوقة ، الأجداد يزدادون ضراوة (مسرحيتان) ترجمة : د /ملكة أبيض منشورات الهيئة العامة السورية للكاتب ، وزارة الثقافة ـ دمشق ، ط2 ، 2011م ، (مقدمة الترجمة) ص12

[5] المصدر نفسه ، ص12

بالنسبة لهذه الشخصية في هذا البحث هو تتبع مسارها ووجودها بين ما هو روائي ، ينتمي إلى بنية النص ، ما هو تاريخي أسطوري رمزي .

و تعد الملامح الأسطورية للشخصيات الأدبية في الرواية موضوعا شقيا بالنسبة للكاتب ، لأن الأسطورة تزيد الإبداع جمالا و قوة ، وتتبدى في شخصية نجمة ملامح أسطورية متعددة فتارة توصف بسندريلا < تلك هي نجمة العنيفة ، المغناج ، نجمة النادرة ، إنها تسبح وحيدة تحلم أو تقرأ في الزوايا المظلمة ، تلك الفارسة التي تقفز الحواجز ، تلك العذراء المنزوية ، تلك " السندريون " ذات الخف المطرز بخيط من الحديد . إن نظراتها تغتني بمعان خفية .>[1] و قصة سندريلا من قصص التراث الشعبي تحكي ـ كما هو معروف ـ حكاية فتاة فائقة الجمال والفطنة ، يتيمة الأبوين تعيش وحيدة ومستغلة من طرف زوجة والدها المتوفى ، و بتدخل الفعل السحري تتحول سندريلا إلى أميرة جميلة تفقد حذاءها الزجاجي الذي يكون سببا في زواجها من الأمير ، لتتغير أقدار سندريلا ، التي عاشت رحلة الضياع محرومة من الوالدين ، وهي ـ من خلال المقطع السابق ـ تشبه نجمة في ميلها إلى الوحدة و الانطواء ، وفي جمالها اللافت ، و في يتمها . كما أن نجمة تغيرت هي الأخرى حياتها من فتاة لقيطة ابنة ليهودية عاهرة ، إلى امرأة محترمة ، متزوجة من رجل طيب ، و تقطن في بيت من خيرة بيوت عنابة . و إذا كانت سندريلا رغم جمالها قد

شبهت بمنفضة السجائر ، فإن نجمة رغم جمالها أيضا ، قد شبهت بالضفدعة < لقد توصلت مفاتن نجمة التي قطرت في الوحدة ، إلى أن قيدتها هي نفسها ، و أسلمتها إلى التأمل .....ولم تعد تملك إلا أهواءها الصامتة ، وحبها للظلام والأحلام ، كضفدعة تملأ الظلام من حولها بالأصوات الليلية ، ثم تتوارى لدى أول شعاع من أشعة الحرارة .... ضفدعة لمعت ، و صرخت و قفزت إلى وجه العالم وأثارت جيشا من الذكور ...>[2] ، هي ذي نجمة السندريون / الضفدعة التي تحولت إلى أميرة يطلب رضاها الجميع ، ولا ينالها أي أحد .

و في لمحة أسطورية أخرى تشبه نجمة بالغولة أو السعلاة ذلك الكائن الأسطوري الذي تحفظه الذاكرة الشعبية بأدواره الشريرة و أفعاله الدموية < نجمة التي لم يستطع أي زوج أن يروضها ، نجمة الغولة ذات الدم القاتم كدم الزنجي الذي قتل سي مختار ، الغولة التي ماتت جوعا بعد أن أكلت أشقاءها الثلاثة ، فإن مراد الذي خطبت إليه سرا ، ثم

[1] كاتب ياسين ، رواية نجمة ، ص116

[2] كاتب ياسين ، رواية نجمة ، ص240 .241

الأخضر الذي أحبته كانا ابني سيدي أحمد خاطف أمها الأول الذي حل محله التقي ، أبو كامل ، و تزوج كامل نجمة فلم تلبث أن هجرته دون طلاق ...>[1] و تصبح نجمة شخصية خارقة لا يتحدد وجودها إلا في التراث الشعبي ، تلك الغولة التي تمثل الشر المطلق ، و كما ضاع أصل الغولة ـ الكائن الأسطوري ـ بين الشعوب ، فأصبحت وليدة الفكر الإنساني و كفى ، ضاع أصل نجمة بتنافس العشاق على أمها الفرنسية ، و ضلت نجمة غامضة النسب لا تعرف لها والدا .

ويحيلنا كاتب ياسين مرة أخرى إلى شخصية أسطورية أخرى لها ميزانها في التاريخ ، كما أنها تعبر عن كل ما تمثله نجمة في الرواية ، وهي شخصية سلامبو، و < سلامبو هي رواية تاريخية بقلم غوستاق فلوبير . تدور أحداث الرواية في قرطاج في القرن الثالث قبل الميلاد ، مباشرة قبل و أثناء تمرد المرتزقة الذي نشب مباشرة بعد الحرب البونيقية الأولى حيث لا تتمكن قرطاج من الوفاء بالوعود التي قطعتها لجيش المرتزقة ، و تجد نفسها تحت هجوم . " سلامبو " الشخصية الخيالية صاحبة العنوان ، كاهنة و ابنة هميلكار ، الجنرال القرطاجي الأرستقراطي ، هي مشتهى ماطو و حبه الوحيد ، أحد زعماء المرتزقة .

و بمساعدة العبد المعتوق الماكر ، سبنديوس ، ماطو الخمار المقدس لقرطاج، مما يدفع سلامبو لدخول معسكر المرتزقة في محاولة لسرقة الخمار و استعادته ، هذا الخمار مزبن بالجواهر تتشح به الإلهة تانيت في قدس أقداس معبدها : < و هذا الخمار هو حارس المدينة و ملامسته تجلب الموت للفاعال . سلامبو ، ابنة هميلكار ، التي وهبت للإلهة تانيت ؛ أحبت الزعيم ماطو ، الزعيم الليبي للمرتزقة ، تموت بعد أن زوجت للقائد النوميدي " نار حواس" ، زعيم المرتزقة النوميديين ، الذي وعد بسلامبو لو انتصر ، و هي التي سلمت نفسها لماطو الذي تحبه ، هذا الأخير ينهزم أمام نار حواس الذي ينهي حياته ، و بموته تموت هي أيضا . و إلى جانب هذا كلّه تبرز "سلامبو " ابنة هاميلكار ، كاهنة معبد تانيت ، لتفيض على عتمة المعارك نور بهائها المقدس ، المحاط بجلال أبيها ، و لتسقط في نهاية الرواية جرّاء حب كتمته في قلبها لعدو قرطاجة زعيم البربر>[2]

---

[1] المصدر نفسه ص 233

[2] سلامبو ، ويكيبيديا ، الموسوعة الحرة ،wikipedia .org/wiki/

وقد ورد اسم سلامبو في الرواية لوصف نجمة فهذا رشيد يقول : <...لقد كانت ابنته ، لم أكن أعرف أيضا أنها ستكون طالعي المشؤوم ، أنها سلامبو التي ستعطي معنى للعذاب .... كانت هي أيضا تعيش بعيدة عن أبيها .... لقد زوجها أشخاص غرباء من رجل قد يكون أخاها .... كان الشعاع الذي بهرتني به يجعل آلامي أشد تبريحا ، نعم كنت أذعن كحزمة من الحطب تحت المحرقة ، و قد هيمنت تلك الساحرة على مصيري ،.....لم أكن أستطيع العثور على نجمتي ، لأنها فقدت إشراقها العذري ..غسق كوكب ..كان ذلك كل جمالها المعتم ..كانت سلامبو أزيل بهاؤها ، و عاشت مأساتها ..كانت راهبة قد سفح دمها ..امرأة متزوجة . لم أعرف محلوقا اقترب منها إلا فقدها >[1] و تلتقي نجمة مع الشخصية "سلامبو" في نقاط عدة ، فهي الجميلة التي حظيت بإعجاب الجميع لجمالها و أناقتها ، و هي سلامبو زوجت من الرجل الذي لا تحبه ، بينما فقدت كلتاهما الرجل، فماطو الذي أحبته سلامبو توفي بعد أن عاش حياة الضياع بين حبه لسلامبو التي تمثل العدو بالنسبة له ، و بين مجده كقائد عسكري ، و لخضر الذي أحبته نجمة طعن ، بعد أن دخل السجن الذي هرب منه ليعيش حياة الضياع في حانات عنابة و فنادقها الرخيصة . ثم إن نجمة كثر عليها

المتنافسون ، و لم يفتأ أحد أن عاشرها أو اختلط بها إلا فقدها ، و هذا ما حصل لسلامبو هي رمز الوطن نوميديا ، مثلما غدت نجمة هي رمز الوطن الجزائر .

4 ـ أسطورة سي مختار :

كما قارب كاتب ياسين بين شخصية سيدي أحمد في روايته ، وشخصية العجوز فيدور كار مازوف في رواية دوستوفيسكي ، ورفعها بذلك إلى مصاف الشخصيات الأسطورية المعقدة المهيبة داخل مجال الدراسات الأدبية ، فإننا نجده يؤسطر سي مختار ويصبغه بصفات الآلهة في الأساطير الرومانية حين يصفه (بجوبيتير) في قول رشيد: < ذلك الشيخ السافل كان ينتصب أمامي كرقيب سافل ... كان أبدا يؤلف جزءا من المدينة المثالية التي ترقد في ذاكرتي منذ سن الختان غير المحدد .....كان بالنسبة لي أحد أرواح الموتى في قسنطينة . ولم أره يهرم ،لم يهرم قط ، ومتى كان لبربروس التاريخ ، أولجوبيتير الأسطورة وجه محدود ،وعمر نهائي>[2] هكذا كان سي مختار : في نظر صديقه رشيد ، وهكذا عمد كاتب ياسين إلى جوبيتير الرمز الأسطوري الإنساني ليرسم صورة سي مختار

---

[1] كاتب ياسين ، رواية نجمة ، ص230

[2] كاتب ياسين ، رواية نجمة،ص153

في الرواية ، فأصبح بذلك قوة غيبية إلاهية لا تتجسد في صورة معينة ولا في شكل محدد ، بل في قدرة ميتافيزيقية يجهل الإنسان كنهها ، فهذا سي مختار بسلوكه المتميز وشخصيته الغامضة ، لم يكن ككل الناس ، لم يستطع أحد تقدير سنه ، لم يكن يستقر على حال ، أو يقبع في مكان ، كان كجوبيتير يغازل النساء ويعاشرهن ويقيم العلاقات الغير المشروعة دون أن يجد من يقف في طريقه أو يعارضه ، لكن جوبيتير كان يخاف من زوجته جانو إذا خانها وهو إله أما سي مختار فلم يكن يقيم وزرا لأحد ، حتى أنه لم يتكبد عناء تربية أولاده أو البحث عنهم ، ولم يجد مانعا في أن يعاشر زوجة صديقه ، أو أن يشارك صديقا آخر عشيقته والدة نجمة ، وكما هو من صفات الآلهة ، والرعونة هي من صفات جوبيتير بالذات ، هذا الأخير الذي يمثل رمز القوة و الذكورة في الأدب ، ولا يمكننا إلا أن نقر بأن سي مختار أيضا يحمل من القوة والذكورة ما يجعله إله في عالم رشيد ، وهذا ما عبر عنه كاتب ياسين.

ونجده في مقطع آخر ينزله من مصاف الألوهية ليسبغه بصفات البشر ، لكن تبقى هذه الصفات تلامس الأسطورية و تتداخل معها ، من خلال تشبيهه بشخصية دون جوان الرمز الخرافي بجاذبيته ، وصيته عند النساء ، و علاقاته الجنسية الغير محدودة < تقول الأسطورة إن دون خوان كان زير نساء و عاشقها شهيرا . أغوى أكثر من 1000 امرأة دون تعقيدات أو منغصات ، لكنه عندما حاول استمالة فتاة أرستقراطية جميلة تدعى دونيا آنا ، يكتشف والدها ، قائد الجيش الأمر فيدعوه للمبارزة . و عند المنازلة ، يتمكن دون جدوى . و يمر دون خوان بضريح قائد عسكري (غير أب الفتاة طبعا) ، فيسمع صوتا من تمثاله المنتصب فوق الضريح يحذره من عواقب أفعاله مع بنات الناس ، و ينذره بالعقاب . لكن دون خوان يسخر من التمثال داعيا إياه لتناول العشاء معه . >[1]

هذا النزق والمجون في شخصية دون خوان يطابق شخصية سي مختار الذي اشتهر بإغواله للنساء ، و بتعدد عشيقاته ، و بكثرة النساء اللاتي قادهن إلى الخطيئة < هذا الشقي ، هذا الزوج الثاني ، لم يكن بالمتعدد الزوجات ، ولا هو بدون جوان.... ولكنه على العكس ، ضحية تعدد الأزواج بصورة غير محددة ، لم يكن شديد الحرص على إزاحة خصومه الشرعيين ، ولا على زوجاتهم المنجبات . كل ما كان يطمع فيه هو إغواء أبنائهم....>[2] ، من هنا فإن سي مختار في بشاعته الاجتماعية و شراسته الجنسية من جهة ، و جاذبيته عند النساء و خداعه لهن من جهة أخرى ، يمثل المعادل الموضوعي للدون جوان الأسطوري ، الذي يغوي النساء ، ثم يهجرهن غير عابيء و دون أن يبدي أي قلق أو اهتمام لتوابع تلك

[1] دون خوان ، ويكيبيديا ، الموسوعة الحرة ، (wikipedia.org/wiki)
[2] كاتب ياسين ، رواية نجمة ، ص 139

العلاقات و آثارها على النساء ، خاصة المتزوجات منهن ، حتى أنه لا يقيم اعتبار لنسله أو ذريته < و إن ما يخفى على إدراكه هو تلك الذرية ، أولاد السفاح الذين سينتقمون لكل العشيقات اللواتي جررتهن إلى الخطيئة ، لكل النساء المتزوجات اللواتي كنت لهن الزوج الثاني ، الزوج الذي يشوش الدماء ، دماء القربى ، في فترة وجيزة ....>[1] ولا شيء يمنع سي مختار من التفاخر بأفعاله ، على شاكلة دون جوان ، هذه الأفعال التي وضعت بطلنا في موضع الخطر ، كما في موضع لوم المجتمع وانتقاده ، لكن هذا الدون جوان و هو

يروي حكاياته يؤكد أن هذه المغامرات قد أعطته حريته و أنتلك الحرية التي استقاها من الحدود القصوى للمغامرة كانت هي ما مكنه من أن يتعامل مع المجتمع بحرية و النضر إليه دائما بتهكم و سخرية .

ولقد عاش دون جوان الحقيقي متنقلا بين عواصم أوروبا وقصور سادتها الكبار بعدما عاش أولا متنقلا بين المدن الايطالية ثم الفرنسية ، واستطاع أن يرصد المجتمعات و أهلها وطموحات الرجال وغرور النساء في أروبا في النصف الثاني من القرن الثامن عاشر ، أوروبا التي كانت تعيش واحدة من اغرب المراحل الانتقالية في تاريخها ، وعاش سي مختار أيضا متنقلا بين مدن الجزائر ، خاصة عنابة و قسنطينة وجبل الناظور ، كما أنه تنقل بين دول متعددة في رحلته إلى الحج رفقة رشيد ، وقد رصد هو الآخر مظاهر اجتماعية وتاريخية وحتى سياسية ، تمثل مرحلة متميزة في تاريخ الجزائر ، بل الدول العربية قاطبة . فكما كان سي مختار شاهدا على جانب غير مطروق من قبل الدارسين في عصره ، وهو الجانب الماجن من المجتمع ، كان قبله دون جوان كذلك .

وإذا اضطررنا إلى الحديث عن عيوبه ومساوئه الشخصية ، كان لابد أن نشير إلى أنه كان نصيرا حقيقيا للصدق في نقل الأحداث والوقائع ، وميالا بشكل حقيقي إلى مناصرة الجمال والطيبة و في حكايته الطويلة التي كان يحكيها لرشيد .

وأخيرا ، إن الإبداع في هذه الرواية ظاهر غير خفي ، بل هو طاغ ـ إن صح القول ـ ،ينبؤنا منذ القراءة الأولى بمدى معرفة كاتب ياسين و إطلاعه على الآداب العالمية ، وبسعة معلوماته الأدبية وقدرته المتميزة على الكتابة . لقد استخدم عوالم الأسطورة وشخصياتها ، ليبني نصه الروائي في زمن بعيدا جدا عن زمن الأساطير ، كما صور واقعا عاشه ن من خلال استثمار عوالم واقع آخر لم يعشه ، فأبدع وتفوق .

[1] المصدر نفسه ،ص139

لقد استطاع كاتب ياسين أن يبلغ مستويات كبيرة في مجال استعمال الأسطورة في روايته نجمة متجاوزا بذلك المستوى التقليدي في الكتابة حيث حقق تقدما هائلا في التفكير و المنطق . بحيث لم يمنع أن <تعيش الأسطورة في عصر العقل >[1] فالقارئ يستمتع أيما

استمتاع حينما يلمس الموضوعات الأسطورية و محاولة ربطها بالراهن أو بالواقع الاجتماعي الذي عاشه الأديب وصوره ، ثم إن المقارنة البسيطة أحيانا بين شخصيات وأحداث الأسطورة أو الخرافة القديمة و بين نص إبداعي ، تجعلنا نقتنع أن الإبداع الذي استقبل الملامح الأسطورية يكون أكثر جمالا و إبداعا و إثارة في ذهن المتلقي . و قد تفطن كاتب ياسين لذلك ، و طبقه بجمالية و فنية مطلقة .

[1] د/ نضال الصالح ، النزوع الأسطوري في الرواية العربية المعاصرة ، منشورات إتحاد الكتاب العرب ، 2001 ،ص55

الملحق

لملحق: السيرة الذاتية للروائي كاتب ياسين

1- مولده ونسبه:

ولد الشاعر والمسرحي كاتب ياسين يوم 06 أوت 1929 في قسنطينة|" بنجدر من أسرة محافظة ومتوسطة الحال حيث كان أبوه يشتغل وكيلا وقاضيا لدى محاكم الشرعية في الجزائر، كما أن أسرته ذات أصول أمازيغية، فهي من أمازيغ الأوراس، وقد غادرت دياره في نهاية القرن التاسع عشر، لتستقر قرب قسنطينة، ثم تعربت بعد ذلك، أي أصبحت تتحدث العربية، شأنها في ذلك شأن الكثير من الأمازيغ الذين يغادرون مناطقهم الجبلية إلى المدن وقد اكتشف كاتب ياسين أصوله الأمازيغية عند انتقال أبيه إلى العمل في نواحي سطيف، فاحتكت هناك بالسكان القبائل، وكشف له أبوه أنه يفهم ما يقولون باللهجة القبائلية وأنها لا تختلف كثيرا عن اللهجة الشاوية، ولعل انحدار أسرته من جبال الأوراس جعلت منته إنسانا متمرءا مثل الكثير من الأوراسيين[1].

2- دراسته:

بدأ كاتب ياسين الدراسة في المدارس القرآنية في مسقط رأسه أي تعلم اللغة العربية وحتى القليل من القرآن الكريم، شأنه شأن أغلب الأطفال الجزائريين أثناء العهد الاستعماري، ثم في الوقت نفسه أدخله أبوه إلى المدرسة الفرنسية وقد "انبهر بشكل كبير بمدرسة الأوربيين وطريقة التدريس الحديثة التي يستعملونها، فقارن بينها وبين أساليب المدرسة القرآنية العتيقة، كما قارن أيضا بين المعلم الأوربي ومعلم المدرسة القرآنية، فوجد بونا شاسعا بينهما في أساليب التربية ويبدو أن هذه المقارنات قد تركت تأثيرا بالغا على المسار الفكري لكاتب ياسين فيما بعد"[2] بعد تتمته الدراسة الابتدائية انتقل إلى مدينة سطيف لمواصلة دراسته الثانوية هناك ومن الصدف أنه عايش مظاهرات 08 ماي 1945 وكان أحد المشاركين فيها وقد نجا من الإعدام بأعجوبة" فبعد أن أوقفه الجيش الفرنسي صوب الجدار إلى جانب مجموعة من الجزائريين لرميهم بالرصاص، تدخل أحد الضباط ليبعده بدعوى أنه صغير لا يتعدى السنة العاشرة، خاصة وأن بنيته ضعيفة جدا، فأعطته ملامح ظفل صغير أقل من سنه بكثير فكانت لتلك الأحداث تأثيرا كبيرا على دراسته ومساره السياسي، فقد كان مصيره الطرد من الثانوية والسجن لمدة عام في سجن قسنطينة بسبب مشاركته في

[1] بشير بلاح، تاريخ الجزائر المعاصر (1830-1989) ج2، قسم التصديق، دار المعرفة جون سنة، بدون طبعة، ص 353.

[2] المرجع نفسه، ص 345

مظاهرات 08 ماي 1945،[1] وقد دفعته تلك الأحداث إلى الانخراط بقوة في النضال من أجل تحرير بلده من المستعمر بكل الوسائل، ومنها الكتابية الأدبية، فقد كانت لديه روح وطنية عالية هي التي ألهمته روايته" نجمة" عام 1956، وهي رمز الجزائر " ونشير إلى أن كاتب ياسين قد سبق هذا العمل بعدة مقالات وأشعار نشرها في جريدة" الجزائر الجمهورية الموالية للحزب الشيوعي الجزائري" الذي انخرط فيه قلبا وقالبا، ومنها أيضا مسرحيته" الجثة المطوقة" التي نشرها في مجلته Esprit الفرنسية، وهي تعبير عن الجزائر التي طوقها الاستعمار من كل جانب"[2]

" كما يبرز نضال كاتب ياسين من اجل التحرير الوطني في محاضرته الشهيرة التي ألقاها حول الأمير عبد القادر في الجمعية العلمية بباريس عام 1947، عنوانها " عبد القادر واستقلال الجزائر، وقد نالت هذه المحاضرة صدى كبير، واستهدف بها إبراز الحق الشعب الجزائري في تقرير مصيره" [3]ما دام أنه يشكل أمته بمقومات تختلف عن الأمة الفرنسية، وقد حاول التأثير على المثقفين الفرنسيين واكتسابهم إلى جانب القضية الجزائرية وقد نشرت دار النهضة الجزائرية المعاصرة كاملة عام 1945، والتي يملكها ويديره عبد القادر ميموني.

3- حياته المهنية ونضاله من أجل تحيري الجزائر:

لم يواصل كاتب ياسين دراسته منتظمة، فبعد أن طردته السلطات الاستعمارية من الثانوية بسبب مشاركته في أحداث 08 ماي 1945 ثم اعتقاله بسبب ذلك لمدة أيام " هاجر إلى فرنسا بحثا عن العمل، فاشتغل كعامل زراعي ثم كهربائي، بالإضافة إلى اشتغاله لفترات متقطعة في بعض المصانع ولعل هذا الأمر هو الذي جعله أكثر تعلقا بالطبقات الشعبية والعمالية طيلة مسيرته الأدبية والمسرحية"[4]

عند اندلاع الثورة المسلحة عام 1945، انخرط فيها بأعماله وكتاباته، بهدف اكتساب الرأي العام الأوروبي عامة والفرنسي خاصة، وقد نشر العديد من المقالات في مجلة الجيش التي كانت تصدر بالمغرب الأقصى، والتي تتحدث باسم مجاهدي جيش التحرير الوطني.

بعد استرجاع الجزائر استقلالها" واصل كاتب ياسين نضاله من أجل ثلاث قضايا سياسية وهي خدمة الطبقات الكادحة والمحرومة، ومناصرة حركات التحرر للشعوب في

---

[1] بشير بلاح، المرجع السابق، ص 345.
[2] بشري بلاح، المرجع نفسه، ن.
[3] م ن، ص ن
[4] بشري بلاح، المرجع نفسه، ص 345

العالم وعلى رأسها الشعبين الفلسطيني والفيتنامي"[1] من أجل استعادة البعد الأمازيغي للهوية الجزائرية.

كما كان كاتب ياسين معارضا للنظام القائم بالجزائر" فتعرض للاعتقال والنفي عدة مرات فقد اضطر للعودة إلى فرنسا بعد دخوله الجزائر عام 1963 وذلك بعد اعتقال النظام أحمد بن بلة صديقه الفنان التشكيلي العالمي محمد أسيانم بسبب مواقفه المعارضة للدكتاتورية أحمد بن بلة، ولم يعد كاتب ياسين إلى بلده الجزائر إلا في عام 1966، لكنه بقي منبوذا من النظام بسبب رفضه للظلم والدكتاتورية ووقوفه على جانب المحرومين والمضطهدين فيكل بقاع العالم، ومنها بلاده الجزائر"[2]

وفي عام 1970 أشرف على مسرح مدينة سيدي بلعباس، فأنشأ الفرقة المسرحية للنشاط الثقافي للعمال، وقد جابت هذه الغرفة بلاد الجزائر طولا وعرضا لتمثل المسرحيات التي كان يؤلفها، إلا أن النظام القائم آنذاك كان يخش من التأثير الكبير لمسرحياته على الرأي العام الجزائري، لما تحمله من روح نضالية ضد الظلم والقهر والاستغلال وطمس للهوية الامازيغية التي هي الهوية الأصلية والحقيقية للشعب الجزائري" فعمل النظام على عرقلته وتشويه سمعته بكل الأساليب، كي لا يكون أي تأثير على أفكاره ومسرحياته على الشعب فاضطر كاتب ياسين إلى الخروج مرة أخرى من بلاده الجزائر حتى وفاته.

وقد زار كاتب ياسين العديد من بلدان العالم وقد تمثلت مسرحياته في العديد منها، كما ترجمت من اللغة الفرنسية إلى عدة لغات عالمية.

4- شخصيته:

تتميز شخصيته ككاتب بالتمرد ضد كل ما يراه أنه يقهر الإنسان ويستعبده، كما أنه يعبر عن قناعته بكل شجاعة دون أن لن أودرران، فهو لا ينافق، كما تخلو شخصيته من أية انتهازية فكان بمقدوره أن يعيش في أحسن القصور ويمتلك الأموال أو قبل بما يعرضه النظام عليه من امتيازات ومنح الحياة شريطة التنازل عن قناعته وأفكاره ومبادئه وعدم إقلاق النظام في الجزائر" إلا أنه فضل العيش في غرفة واحدة وبؤس شديد على أن يبيع نفسه[3].

5- أعماله:

---

[1] بشري بلاح، المرجع نفسه، ن.
[2] ينظر: م ن، ص 356
[3] بشري بلاح، المرجع نفسه، ص 357

أعمال ياسين ملتزمة وواضحة المعنى، وشحونته بالصورة والأفكار والمعاني وتتميز بحس شعبي صادق، ورؤية سليمة للواقع، كلها تدعي قصص التشرد، ولحظات المنفى والهجرة والغربة.

ولكاتب ياسين العديد من الأعمال الأدبية الإبداعية في مجال الرواية والنشر والمسرح فمن أشهر أعماله:

- **أولا: الروائية:**

1. روايته نجمة، سنة 1956م.
2. المضلع النجمي، سنة 1966م.

- **ثانيا: المسرحية**

1. مسرحية الجثة المطوقة، سنة 1955م.
2. مسرحية النعل المطاطي، سنة 1970م.
3. مسرحية ملك الغرب، سنة 1977م.

- **ثالثا: الشعرية**

1. مسحوق الذكاء، سنة 1967م.
2. دائرة الانتقام أو دائرة القصاص، سنة 1959م.

كل هذه الأعمال نشرت في دار لوسوي le seuil الفرنسية

6- وفاته:

" توفي كاتب ياسين سوم 29 أكتوبر 1989م، بإحدى مستشفيات عزو نوبل بفرنسا بعد مرض عضال، ثم انتقل إلى الجزائر ليدفن في مقبرة العالية إلى جانب أمه وقد شارك في جنازته جمع غفير من الناس إلى جانب عدد كبير من رجال الأدب والفكر والفن، و ورى التراب بعد إلقاء الكلمة التأبينية حوله وأداء الصلاة عليه، وقد خلف ابنا سماه أماتزيغ نسبة إلى الجد الأول للشعب الأمازيغي وهو مازيغ كنعان بن سالم بن نوح[1].

[1] بشري بلاح، المرجع نفسه، ص 357

خاتمة

بعد كل إنجاز من الطبيعي أن يكون هناك شاطئ تركن إليه السفينة المبحرة ، وهذا هو حال بحثنا الذي يحاول أن يرسوا على شاطئ الأمان بعدما أنهى رحلته التي دامت مدّة من الزمن ،سعينا من خلاله إلى استنطاق الكتب و محاورة الأفكار و اقتباس المعارف لنخلص في الأخير إلى أن البحث في الموروث الشعبي أمر شيق و ممتع ، و كثيرا ما يتسلى الباحث و هو يغوص في مواده و يزداد تشعبا بمعارف جديدة تفتح له أفاق لبذل الكثير من الجهد وتحصيل الإجابات بعد طرحه للعديد من الإشكاليات ، كذلك هو الأمر الأسطورة الذي أن لهل طابعها الخاص الثقافي المتميز خاصة حضورها في الرواية الجزائرية بعد أن أضافت لها جمالا و رونقا متميزين.

بعد هذه الدراسة التي خضنها في رحاب الموروث الشعبي و متعة الأسطورة في رواية نجمة لكاتب ياسين ، توصلنا إلى أهم النتائج التي أدرجنها فيما يلي :

ـ يعتبر الموروث الشعبي مصطلحا جامعا لجوانب أو موارد ثقافية سواء فكرية أم مادية .

ـ إن إحياء الموروث و بعثه من جديد ساهم في تناقله عبر الأجيال و عبر الحضارت .

ـ إن ظهور الموروث في حياة الأمة عموما أمرا ضروريا ، وهو ما يؤكد الوجود الحضاري للأمة ، فأمة بلا موروث هي أمة بلا ماضي ولا حاضر و لا حتى مستقبل .

ـ إن الروائي عندما عبر عن موروثه فإنه يعلن انتماءه إلى شعب له معتقد و أفكار خاصة.

ـ إن اهتمام الروائي بالأسطورة جاء ليلبي العديد من الأهداف التارخية و الاجتماعية التي راهن الروائيون على تحقيقها من خلال استلهام الأسطورة كحافز و مثال في اتخاذها قناعا للتعبير عن قضاياهم و حياتهم .
ـ نجمة لكاتب ياسين في حقيقة الأمر أحبها ياسين يصرح بهذا في روايته واستخدمها كرمز للجزائر الوطن الحر .

ـ استطاع كاتب ياسين أن يعبر بصدق عن آلام وآمال الجزائريين ببراعة و أسلوب جيد و عظيم .

ـ اعتمد الروائي ياسين على الأسطورة بشكل كبير في روايته عكس من خلالها على بث قيم معينة .

إن النظر إلى الشخصية كشخصية كاتب ياسين تستلزم منا الوقوف على أعماله التي لم تكن عادية ، فقد كان رمزا لتجديد بدأ من العنوان إلى المحتوى و المضمون وصولا إلى الدلالات التي تحملها الرواية .

كانت تلك حويصلة ما توصلنا إليه من نتائج و استنتاجات .

قائمة المصادر والمراجع

ـ القرآن الكريم

ـ ابن الجوزي ، زاد المسير في عالم التفسير .

ـ ابن منظور ، لسان العرب ، دار المكتبة العلمية ، ط1 ، بيروت ، 2003 .

ـ ابو الفضل أحمد بن محمد بن ابراهيم النيساوي الميداني ، معجم الأمثال ، دار الفكر ، لبنان ، 2002 .

ـ ابراهيم أبو طالب ، الموروثات الشعبية اليمنية في الرواية اليمنية ، دار اصدارات وزارة الثقافة و السياحة ، صنعاء ، 2004 .

ـ احمد مرسي ، الأغنية الشعبية ، سلسلة المكتبة الثقافية ، الهيئة العرفية العامة للتأليف و النشر ، القاهرة ، 1970 .

ـ أحمد سماعيل النعيمي ، الأسطورة في الشعر العربي قبل الإسلام ، دار سينا للنشر ، ط1 ، القاهرة .

ـ احمد منور ، الأدب الجزائري ، ديوان المطبوعات الجامعية ، ط2 ، الجزائر .

ـ الطاهر وطار ، الحوات و القصر ، موقع النشر و التوزيع ، الجزائر ، 2004 .

ـ الطاهر وطار ، الموروث الشعبي في الرواية الجزائرية ، المغرب ، 2002 .

ـ بوجمعة بو يعيور ، توظيف التراث في الشعر الجزائري الحديث ، مطبعة المعارف ، عنابة ، ط1 ، الجزائر ، 2007 .

ـ بلحيا الطاهر ، التراث الشعبي في الرواية الجزائرية ، منشورات التبين ، الجزائر، 2000م .

ـ بيبير شارتيه ، مدخل إلى نظرية الرواية ، دار توبقال للنشر ، ط1 ، المغرب ، 2000م .

ـ جمال الدين الشيبي ، تمثال الأمثال ، مكتبة الهلال ، ط1 ، بيروت ، 2003م .

ـ جورج لوكاتش ، الرواية كملحمة بورجوازية ، دار الطليقة للطباعة و النشر ، ط1 ، بيروت ، 1979م .

ـ حنا عبود ، من تاريخ الرواية دراسات ، منشورات إتحاد الكتاب العرب ، دمشق 2002م.

ـ روزلين ليلى قريش ، القصة الشعبية الجزائرية ذات الأصل العربي ، ديوان المطبوعات الجامعية ، 2007م.

ـ رجاء أبو علي ، الأسطورة في شعر أدونيس ، دار التلوين للتأليف و الترجمة ، ط1 ، دمشق 2009م.

ـ رتينيه وبليك ، نظرية الأدب ، المؤسسة العربية للدراسات و النشر ، بيروت ، 1987م.

ـ رشيد ابن مالك ، بحوث سيميائية ، مجلة علمية محكمة ، مخبر عادات و أشكال التعبير الشعبي بالجزائر ، جامعة أبو بكر بلقايد ، تلمسان ، العدد 5 و 6 ، 2009م.

ـ رابح العوبي ، أنواع النثر الشعبي ، منشورات باجي مختار ، عنابة .

ـ رشيد بوجدرة ، ألف و عام من الحنين ، المؤسسة الوطنية للكتاب ، ط2 ، الجزائر .

ـ سعيد يقطين ، الرواية و التراث السردي ، رؤية للنشر و التوزيع ، ط1 ، مصر ، 2010م.

ـ سمير سعيد حجازي ، قاموس مصطلحات النقد الأدبي المعاصر ، دار الأفاق العربية ، ط1 ، 2001م.

ـ شفيع السيد ،اتجاهات الرواية العربية ، دار الفكر العربي ، القاهرة ، 1996م.

ـ شكري عزيز ماضي ، انعكاس هزيمة حزيران على الرواية العربية ، المؤسسة العربية للدراسات و النشر ، ط1 ، بيروت ، 1978م.

ـ طلال حرب ، أولية النص نظريات في النقد والقصة و الأسطورة و الأدب الشعبي ، المؤسسة الجامعية للدراسات و النشر ، ط1 ، 1999م.

ـ عبد الحميد بوسماحة ، توظيف التراث الشعبي في رواية عبد الحميد بن هدوقة .

ـ عبد الحميد بورايو ، الأدب الشعبي الجزائري .
ـ عزة محمد جاد ، نظرية المصطلح النقدي ، مطابع الهيئة المصرية العامة للكتاب ، مصر ، 2002م.

ـ عبد الملك مرتاض ، الخنازير ، المؤسسة الوطنية للكتاب ، الجزائر 1985م.

ـ عبد الرحمن يونس ، ألف ليلة وليلة في أدب الأمم ، مجلة الكويت العدد 272 ، الكويت ، 2006م.

ـ عبد الحميد بن هدوقة ، الجازية و الدرويش ، المؤسسة الوطنية للكتاب ، الجزائر ، 1983م.

ـ فاروق خورشيد ، السيرة الذاتية الشعبية العربية ، المكتبة الثقافية ، مصر ، 1989م .

ـ فاروق أحمد مصطفى ، دراسات في التراث الشعبي ، دار المعرفة الجامعية للطبع و النشر و التوزيع ، ط1 ، 2008م.

ـ كاتب ياسين ، الجثة المطوقة ، منشورات الهيئة العامة السورية للكتاب ، ط2 ، دمشق 2011م.

ـ لويس معلوف ، المنجد في اللغة و الإعلام دار المشرق ، ط35، بيروت ، 1997م.

ـ مصفى ابراهيم ، معجم الوسيط ، المكتبة الإسلامية للطباعة و النشر و التوزيع ، القاهرة .

ـ محمد عابد الجابري ، التراث و الحداثة ، مركز دراسات الوحدة العربي ، ط1 ، بيروت ، 1991م.

ـ محمد عجيبة ، أساطير العرب ، دار الفارابي ، ط1 ، بيروت ، 1924م.

ـ ميخائيل مسعود ، الأساطير و المعتقدات العربية قبل الإسلام ، دار العلم للملاين ، ط1 ، 1994م.

ـ محي الدين صبحي ، النقد الأدبي الحديث بين الأسطورة و العلم ، الدار العربية للكتاب ، 1988م.

ـ مفقودة صالح ، المرأة في الرواية الجزائرية دراسة ، جامعة محمد خيضر ، ط1 ، بسكرة ، 2003م.

ـ ميشيل زيرافا ، الأسطورة و الرواية ، دار الحوار للنشر و التوزيع ، ط1 ، سوريا ، 1985م.

ـ مديحة عتيق ، توظيف الأسطورة في رواية الحجر .

ـ محمد لعور ، الجذور الأسطورية الدينية للخرافة الجزائرية ، مجلة أمال ، العدد 2 ، الجزائر ، 2008م .

ـ نبيلة ابراهيم ، أشكال التعبير في الأدب الشعبي ، دار غريب للطباعة ، ط3 ، القاهرة ، 1981م.

ـ نضال الصالح ، النزوع في الرواية المعاصرة ، منشورات إتحاد كتاب العرب ، ط2 ، دمشق ، 2001م.

ـ وتاد محمد رياض ، توظيف التراث في الرواية العربية المعاصرة ، منشورات اتحاد كتاب العرب ،ط1، دمشق ، 2002م.

ـ واسيني الأعرج ، سيدة المقام ، موفم للنشر ، ط1 ، 1996م.

الفهرس

ـ كلمة شكر وعرفان .

ـ إهداء

ـ مقدمة

ـ الفصل الأول : الموروث الشعبي و الأسطورة في الرواية الجزائرية

1/ مفهوم الموروث الشعبي و أشكاله

أولا : المفهوم و النشأة 11 17

01 ـ الموروث لغة 11 12

02 ـ الموروث اصطلاحا 12 14

03 ـ نشأة الموروث..... 15 17

ثانيا : أشكال الموروث الشعبي 17 26

01 ـ المثل الشعبي 17 19

02 ـ الحكاية الشعبية 19 21

03 ـ الأغنية الشعبية 21 22

04 ـ الأسطورة الشعبية 23 26

2/ الأسطورة و أنواعها

أولا : تعريفها و نشأتها 27 38

01 ـ الأسطورة لغة 27 29

02 ـ الأسطورة اصطلاحا 29 33

03 ـ نشأة الأسطورة..... 33 38

ثانيا : أنواع الأسطورة..... 38 44

01 ـ الأسطورة الطقوسية 38 40

02 ـ الأسطورة التكوينية 40 41

03 - الأسطورة التعليلية 41 43

04 - الأسطورة الرمزية..... 43 44

3/ الأسطورة و الرواية

أولا : الأسطورة و الرواية العربية 44 49

ثانيا : الأسطورة و الرواية الجزائرية 49 57

- الفصل الثاني : صورة الأسطورة في رواية نجمة

1 / رواية نجمة

أولا : ملخص الرواية 60 63

ثانيا : الأحداث و الشخصيات و الأمكنة في الرواية 63 74

2 / تجليات الأسطورة في رواية نجمة

أولا : أسطورة قبلوت (الميث القبلي في الرواية) 75 78

ثانيا :أسطورة الابن الضال 78 81

ثالثا : أسطورة نجمة 82 87

رابعا : أسطورة سي مختار 87 90

الملحق

الخاتمة

قائمة المصادر و المراجع

الفهرس